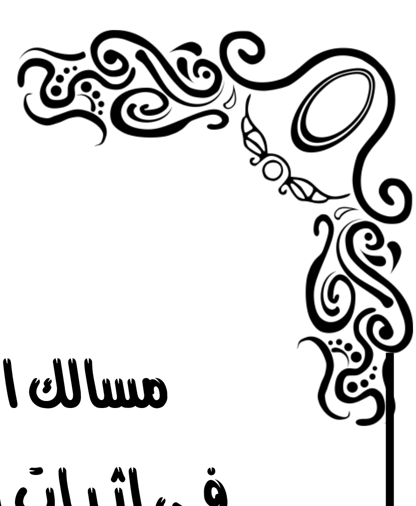


مسالك القرآن الكريم

في إثبات البعث والنشور

إعداد

د. عبد العزيز رشيد الأيوب

الأستاذ المشارك في كلية التربية الأساسية
التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي
والتدريب بدولة الكويت
(باحث رئيس)

د. أحمد يوسف النصف

الأستاذ المشارك في كلية التربية الأساسية
التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي
والتدريب بدولة الكويت
(باحث مشارك)



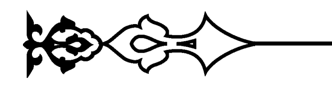



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



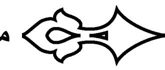

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية








مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



المقدمة

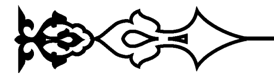


الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه،كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فيُعدُّ البعث بعد الموت، وحشر الخلائق إلى بارئها لنيل جزائها يوم القيامة.. مِن العقائد الأساسية في القرآن الكريم؛ ولما كانت هذه العقيدة محلَّ شكٍ واستبعادٍ من قبل المشركين، كما حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[الصافات: ١٦]، فقد اهتم القرآن اهتمامًا بالغًا بإثبات هذه العقيدةِ وتقريرِها، والردِّ على المشككين فيها؛ وتنوعت أدلةُ القرآن في تقرير هذه العقيدةِ بين إخبارٍ بوقوع البعث، والأدلةِ على وقوعه وإمكانه، وتشبيهه بأمورٍ تجري في حياتنا، وبين ذِكْرِ قصصٍ متنوعةٍ لحالاتٍ قد تم فيها إحياءُ الموتى بإرادةٍ إلهية.

والإيمانُ بمبدأ البعث بعد الموت هو في الحقيقة تمهيدٌ لبناء مجتمعٍ يلتزم في حياته بشرع الله تعالى في كل شؤون حياته، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، فنجد أنَّ الله تعالى قد حصر هذه الأعمالَ فيمن آمن بالله واليوم الآخر.

ونجد الكلامَ عن البعث قد تكرر كثيراً في كتاب الله تعالى، ومن ذلك ما جاء في أول الكتاب العزيز: ﴿الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ١-٥].







ولقد اتفقت جميع الرسالات السماوية على الإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال، ومن ثَمَّ فإن هذه القضية كانت من أولى اهتمامات القرآن الكريم، فقد ذكرها في مواضع كثيرة متعددة في آياته، تارة بوصف البعث والحديث عنه، وتارة بتقريره وتأكيد مجيئه، وتارة بتعليق الاستقامة على الإيمان به، وتارة بإثبات الهداية والفلاح للموقنين به[1].

فمن مظاهر اهتمامه بهذا المعتقد: ذِكْره مقرونًا بالتفخيم والتعظيم في أول سورة منه بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ وفي موضع آخر منه مقرونًا بفلاح المؤمن في الآخرة كما في الآيات المتقدمة من سورة البقرة؛ وكذلك ذكره مقرونًا بالإيمان وبأعظم أركان الإسلام وبأعظم صفة يحبها الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

ومن هذه المظاهر: تخصيص ذكر البعث في سياق الابتلاء والامتحان؛ ليتميَّز مَن يؤمن، ومَن لا يؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢٠-٢١].

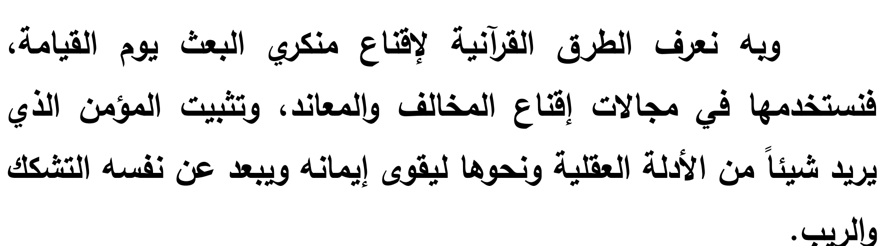
فدلت هذه العناية القرآنية بالبعث على أهميته، وعلى ضرورته في استقامة المرء في هذه الحياة، لأنه بانعدامه ينعدم أصل الخير وينابيع الفضيلة والكمال البشري، ويصبح المرء من شر البرية.

أهمية الموضوع:

---

(1) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٥٣٧.





تبرز أهمية موضوع هذا البحث: في أنه يتصدى لمن أنكر البعث والحشر والنشر؛ كما أنه يشكل قاعدة أساسية لتقويم الإنسان في هذه الحياة؛ لارتباط مصيره به.

وبه نعرف الطرق القرآنية لإقناع منكري البعث يوم القيامة، فنستخدمها في مجالات إقناع المخالف والمعاند، وتثبيت المؤمن الذي يريد شيئاً من الأدلة العقلية ونحوها ليقوى إيمانه ويبعد عن نفسه التشكك والريب.

ونحن في أَمَسِّ الحاجة إلى مثل هذه الموضوعات، لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير من الناس، واضطربت أفكارهم حول قضية البعث بعد الموت، ولم يقتصر الإنكار على البشر فحسب، بل عم هذا الشعور الجن كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن:٧].

مسوغات اختيار الموضوع:

الذي دعانا إلى اختيار هذا الموضوع القيم عدة أمور، من أهمها:

١- ما سبق ذكره من اشتمال القرآن على أهم الحقائق والدلائل القطعية التي تثبت البعث والحشر والنشر.

٢- أنه لا يمكن لباحث متخصص في علم العقيدة أن يرد على مزاعم من أنكر البعث والمعاد الأخروي إلا إذا كان مطلعًا على نصوص القرآن في ذلك، ومدركًا لما قاله علماؤنا من قبل في تفسير هذه النصوص.

٣- إظهار عظمة هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولتقرير القواعد والبراهين التي استخدمها القرآن لهذا المطلب العظيم.

منهج البحث:



أما عن منهجنا في البحث فقد اتبعنا فيه المنهجية القائمة على الاستقراء والتحليل والاستنتاج حسب الطريقة العلمية في ذلك.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

خطة البحث:

اشتملت على مقدمة، وتمهيد، واثني عشر مبحثًا ، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وصدرت بتوطئة للموضوع وأهميته، وعن منهجيته ودواعي اختياره، ثم عرضنا فيها أقسام البحث ومكوناته.

التمهيد: وتضمن أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى إنكار البعث والنشور لدى بعض الناس قديمًا وحديثًا.

المبحث الأول: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى.

المبحث الثاني: الإخبار بالبعث بعد تفرق الأجسام والأجزاء في الأماكن.

المبحث الثالث: عموم قدرة الله تعالى على جميع الممكنات.

المبحث الرابع: القادر على الأعظم يكون على الأيسر أقدر بالضرورة.

المبحث الخامس: الإيقاظ من النوم الطويل دليل على البعث.

المبحث السادس: قياس إخراج الموتى من الأرض على إخراج الحي من الميت.

المبحث السابع: قياس البعث على إحياء الأرض بالمطر بعد موتها.

المبحث الثامن: الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء بعد الموت.

المبحث التاسع: الاستدلال على أن الله وعد بالبعث وأنه سيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

المبحث العاشر: الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر.

المبحث الحادي عشر: الاستدلال بتعاقب الليل والنهار.

المبحث الثاني عشر: أهمية إعمال العقل في إقرار البعث بعد الموت.



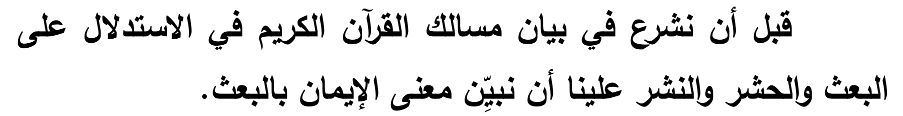
وأما الخاتمة فقد ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

هذا ونسأل الله العلي العظيم أن ينفع بهذا العمل، ويجعله لوجهه خالصًا لوجهه الكريم، إنه تعالى خير مسؤول وأفضل مأمول، وإنه نعم المولى ونعم النصير، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

التمهيد



قبل أن نشرع في بيان مسالك القرآن الكريم في الاستدلال على البعث والحشر والنشر علينا أن نبيِّن معنى الإيمان بالبعث.

فالإيمان به هو: التصديق الجازم الحتمي بانتهاء الحياة الدنيا بأكملها، والإحياء بعد الموت، والخروج من القبور، وقيام الناس لرب العالمين صغيرهم وكبيرهم بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء.

ثم نتساءل بعد ذلك: هل البعث ممكن في ذاته، أم أنه خرج عن حدود الإمكان العقلي حتى تَرِدَ عليه الشُّبَه؟!

لا شك أن عالمنا موجود وحاصل بالفعل، وبديهي أن الوقوع فرع الإمكان، وإذا كان هذا العالم ممكنًا فإيجاد عالم مماثل له ممكن بالضرورة، لأن وجود أحد المتماثلين يدل على إمكان وجود المماثل الآخر، فلو سألنا إنسانًا: هل يستطيع باني الدار أن يبني مثلها ؟ لاستغرب هذا السؤال، لأنه جوابه معه ويدل عليه بنفسه.

ولقد استدل القرآن على إثبات البعث بأدلة تجمع بين ما تقرره الفطرة، ويصدقه النقل، ويقبله العقل، واشتملت هذه الأدلة على عدة مسالك، هي في مجموعها غاية في الوضوح والجلاء للمسترشد المهتدي إلى الحق.

ولا بد أن نعلم أن من الأخبار ما لا يمكن ردها أو رفضها لثبوتها ثبوتًا قطعيًّا، منها[1]:

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ

(1) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٥٣٤.



رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ [الزمر: ٧١]، فأخبر عن أهل النار أنهم قد جاءتهم الرسالة وأنذروا باليوم الآخر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٢٨-١٣٠]، فأخبر عن جميع الجن والإنس أن الرسل بلغتهم رسالة الله تعالى وهي آياته وأنهم أنذروهم اليوم الآخر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥]، فأخبر أنهم كفروا بآياته، وهي رسالته، وبلقائه، وهو اليوم الآخر.

وقال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الإيمان بالله تعالى وإلى معرفة أمر البعث: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧- ١٨].

وقال عن سيدنا عيسى عليه السلام -وهو يقر بالبعث ليكون دليلًا على وجوبه ووقوعه- : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

فجميع الأنبياء والرسل -من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام- قد أخبروا



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

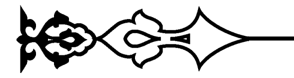
بالبعث بعد الموت؛ وأممهم على مختلف أفرادها قد تلقت هذا النبأ العظيم من رسلها سواء آمنوا أو لم يؤمنوا؛ وبهذا التواتر القطعي الذي يعطي علمًا يقينيًّا بوجوب وجود البعث بعد الموت، لم يترك مجالًا للريب أو الشك في تحقيق وقوعه.

فإذًا قضية المعاد والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال قضية في بالغ الخطورة؛ لأنها تحدد مصير الإنسان في دنياه قبل آخرته، ويتوقف عليها إما سعادته الأبدية، أو شقاوته الأبدية.

ولأهمية هذه القضية، فإننا نجد أنَّ مِن لُطْفِ الله تعالى بعباده ورحمته بهم، قد بيَّنَها في كتابه العزيز بيانًا شافيًا كافيًا، بأدلة نقلية، وحجج عقلية، ولكن مع ذلك نجد في الناس مَن يُنكره! ومِن خلال التتبع والقراءة والتدبر يتضح أن إنكار البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال ينصب على معنيين[1]:

الأول: بمعنى التغافل عنه، وذلك بعدم الإيقان به، أو بالاستهتار بشأنه لعدم مراقبة الله تعالى المطلع على سرائر عباده وضمائرهم، كحال بعض المسلمين أو المنتسبين إلى الإسلام ممن لا يعرفون للإسلام حدًّا، أو للأوامر والنواهي معنى؛ فما حصل أو يحصل من التعديات في النفس والمال والعرض وهضم للحقوق وإهمال للواجبات، إنما نتيجة لتغافل الناس عن مبدأ البعث بعد الموت، أو لإنكارهم وتكذيبهم له؛ وقد أشار القرآن إلى هذا في سورة كاملة، مبينًا فيها آثار التكذيب بيوم الدين، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ

([1]) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٥٧٢.





يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون]، وقال في سورة أخرى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦]، فالسبب الرئيس في كل هذه العوامل: هو عدم الاستعداد بالعمل لهذا اليوم العظيم.

الثاني: بمعنى بإنكاره كليًّا، وعدم الإيمان أو الإيقان بوجود يومٍ يُحاسِب الله تعالى فيه العبادَ، ويجازي الجميعَ بما قدموا من أعمالٍ، وذلك كحال المجتمعات الوثنية الكافرة على مختلف مِلَلِها ونِحَلِها.

ولهذا النوع من إنكار البعث بعد الموت عوامل وأسباب عديدة، منها[1]:

١-الترف والبطر والغرق في الشهوات، حتى تنقلب الموازين، وتنعكس المقاييس، فتُنسّي الحِكَم الإلهية، والإرادات الربانية في هذا الكون، كما قال تعالى عن مترفي الأمم السالفة -عندما توالت عليهم نعم الله، فاغتروا بها، فكانت مدعاةً للتكذيب برسل الله وبالبعث بعد الموت- : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[المؤمنون: ٣٣-٣٨].

([1]) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٥٨٣.






٢-الكبر والغرور، وهو من أخلاق النفس الذميمة، حيث يُعمي البصر والبصيرة، فيدفع بصاحبه إلى الإعجاب بالنفس، وبَطَرَ الحق، والكفر بالله تعالى وبنعمه؛ وقد حرَّمه الإسلام أشد تحريم؛ لأنه من أعظم أسباب الهلاك في الحال والمآل، ومن أكبر العوائق عن طلب الكمال، والبحثِ عن الحقائق والبيِّنات، وحجاب مانع لوصول الهداية، لكونه يجلب مقت الله تعالى، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ* وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨-٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩].

٣-النفاق، مع أن المنافق قد يظهر له شيء من الحق والحقيقة لكونه يخالط المسلمين ويسمع ويرى منهم ما يكون سببًا للتصديق لكنه مع ذلك يصر على التكذيب، فهو من هنا أشد مؤاخذة من الكافر الذي قد يجهل الأمر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-٩].

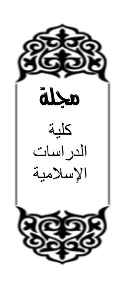
٤-الجهل والتقليد الأعمى دون بصيرة، أو عِلْمٍ وتثبت، رغم فشو العلم، وتعددِ وسائله، وسهولةِ الوصول إليه، وظهور الآيات الدالة على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، وصدق ما جاء به من عند الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال



تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[لقمان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[الأحزاب: ٦٦-٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[سبأ: ٣١-٣٣].

٥-ظهور عبّاد المادة، وتعدد الملل، وانتشار الملحدين في المجتمعات البشرية، ممن يزعمون العلم والفهم، وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية، لطمسهم في الناس معالم الحق، رغم تطور العلم، وظهور الآيات التي أثبتت وجوب البعث بعد الموت بما يشاهد يومًا بعد يوم من الآيات والدلائل الدالة على وجوبه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

٦-نسبة تأثير الطبيعة في الكون، فقد ظهر على مختلف العصور والأزمان طبيعيون ينسبون الحوادث إلى الطبيعة، أو يقولون بتأثير الطبيعة في هذا الكون، وفي نظرهم أن كل ما يحدث في الكون فإنه من تأثير الطبيعة، فإذا كان الأمر كذلك فلا بعث ولا نشور ولا حساب ولا عقاب ولا جزاء على الأعمال؛ وهذا القول مشابه لقول الاشتراكيين



اللادينيين؛ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية: ٢٤].

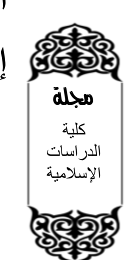
٧-الإغراق في الغفلة عن الآخرة، بحيث ينشغل الإنسان بسفاسف الأمور وزائفها، ويعطيها حظًّا وافرًا من الأهمية حتى يجعلها من أوليات همومه وأمانيه، ويقدمها إلى أن تبقى هي محط نظره وفكره ومحور حياته، مع أن ظاهر الحياة محدود صغير؛ فإن لم يتصل قلب المرء بحقيقة وجوده فإنه يظل ينظر وكأنه لا يرى، ويبصر الشكل الظاهر والحركة الدائرة ولكنه لا يدرك حكمته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

٨-العناد والاستهانة، مما يجعل الإنسان يتطاول، فيطلب أمورًا إما خارجة عن طوق البشر، أو لا علاقة لها بالحال والواقع، أو يبتغي قياسًا قاصرًا أو فاسدًا كالطعام والشراب واللباس، وهذا إنما هو نابع إما عن جهل بالحقائق، أو عن قصر بصيرة، أو استدبار لعواقب الأمور، أو اغترار بالفاني من الزاد والمتاع، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧-٨].

وأكد تعالى في علاه مقالتهم الشنيعة هذه بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، أي: تجاوزوا الحد في الكبر والطغيان إلى أقصى غاياته.



ولما كان القرآن قد أستوعب عددًا كثيرًا من الآيات التي تعالج هذا الموضوع، فسنعرض نماذج منها تحت المسالك المشار إليها؛ إذ لا سبيل إلى استيعاب تلك الآيات كلها في هذا البحث.



المبحث الأول

الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى

لهذا المسلك دلائل كثيرة في القرآن الكريم، منها[1]:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ

---

(1) انظر: تأويلات أهل السنة ٤٠٩/١، وتفسير أبي السعود ١٨٨/٤، وهداية المريد لجوهرة التوحيد ١٠١٩/٢.

جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[الواقعة: ٥٨-٥٩].

أشارت الآيات السابقة إلى إعادة الخلق بعد الموت بالقياس على إبدائه بعد العدم الأصلي، وذلك بجامع الإمكان والقدرة التامة على كل ممكن فيهما، وهو بلا شك أولى؛ لأن الإعادةَ تكون بعد وجودٍ خارجيٍّ مُحَقَّقٍ، والابتداء إنما كان بعد عدمٍ أصليٍّ، وليس بوجودٍ محقق، سواء قيل: إن المعدوم شيءٌ -على رأي المعتزلة-، أو ليس بشيءٍ -على رأي الجمهور-[(١)].

وقد ذكر الفخر الرازي: أن المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة- أشد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة، فالعظم قد كان جزءًا من بدن الحي، أما الحجارة والحديد فما كانا ألبتة موصوفين بالحياة، فلو صارت أبدان الناس حجارة أو حديدًا بعد الموت، فإن الله تعالى يعيد الحياة إليها، ويجعلها حيًّا عاقلًا كما كان[(٢)].

وقد كانت قضية البعث بعد الموت مثارَ جدل للمشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: كيف يمكن للإنسان -وهو ضعيف المادة- إذا مات ودُقت عظامه، وبليت، وصارت ترابًا، واختلطت بعناصر أخرى، وتناثر رفاته في العالم، كيف يُعْقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها، ثم عود الحياة فيها بأعيانها مرة أخرى؟! قال تعالى عن حالهم: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا

(١) انظر: تفسير الواحدي ١٤/٨، والمحرر الوجيز ١٠٢/٤، والإشارات الإلهية ص ٤١، ٣٩٥، ٤٢٤.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٣٥٢/٢٠.



لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً* قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾[النازعات: ١٠-١٢]؛ فهم يسبعدون البعث مطلقاً، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء: ٤٩-٥١]، وكان هذا غاية الإنكار منهم، وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه، فعقولهم قد فسدت لسجودهم للحجارة، فغاب عنهم قولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

ولكن لا زال الشك يجول في أذهان المنكرين للبعث كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٥١]، فجاءت آيات سورة "يس" لتزيل الشك، وتوضح الصورة، وتبين الحقيقة، وترفع هذا اللبس الذي علق بأذهان المنكرين للبعث، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٤٨- ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[يس: ٧٨]، فإن النطفة التي خلق منها الإنسان لا تزيد حيوية أو قدرًا وقدرة على العظم الرميم البالي المفتت حتى يضرب بها هذا الكافر المثل، أم أنه لم



يخلق منها؟[1].

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، أم أن هذه ليست نشأة أولى، أم أنه قياس للقدرة الإلهية الشاملة على قدرة نفسه الضعيفة، فتكون الإجابة في كل الأحوال واحدة: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، فالله تعالى يعلم مذهب العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها وتفرقها وتمزقها، ويعلم مم يعيد خلق الإنسان كما بدأه من أصغر جزء في الإنسان وهو عجب الذنب، بل بيَّن تعالى في آية أخرى أن قدرته ليست قاصرة على إعادة أعضاء الإنسان التي كانت موضع استغراب المشركين فحسب، بل هو قادر على تسوية البناء، وجمع الدقيق اللطيف من الأعضاء، وإعادة البصمات الأولى للإنسان، فقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣-٤] [2].

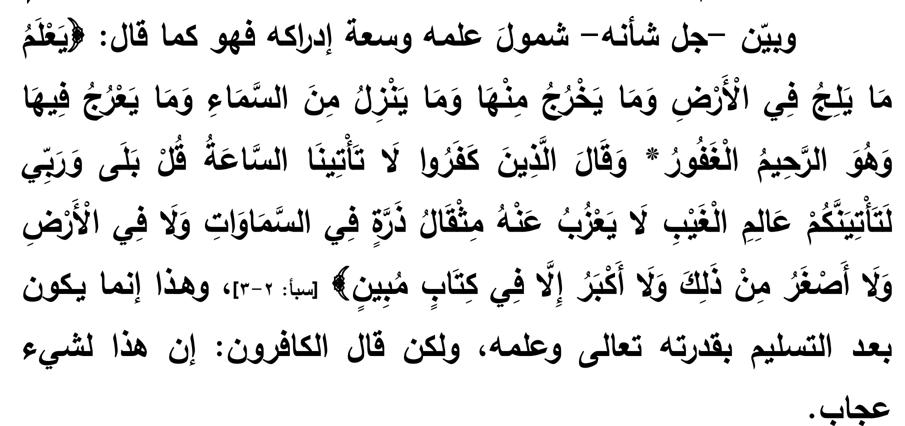
وقد رد الله تعالى على هذه الشبهة في موضع آخر: بأنه يعلم من يموت منهم ومن يبقى، وأن هذه الأجزاء متميزة في علمه أشد التمايز، وأنه أحاط علمه بكل شيء حتى انتهى إلى علم ما يذهب من أجساد الموتى في القبور، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]. وهذه الآية سبقت قول الكفار كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:٣].

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة ٢١٦/٣، واستخراج الجدال من القرآن ص ٩١.

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٦، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨٨/٢١.





وبيّن -جل شأنه- شمولَ علمه وسعة إدراكه فهو كما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢-٣]، وهذا إنما يكون بعد التسليم بقدرته تعالى وعلمه، ولكن قال الكافرون: إن هذا لشيء عجاب.

ومن الآيات المشتملة على جملة من أدلة البعث قوله تعالى(١): ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

فعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّم بِعَظْمٍ حَائِلٍ، فَفَتَّهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ» قَالَ: فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} إِلَى آخِرِ السورة»(٢).

وقال عز وجل: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦]، أي: تعلمون أنه هو أحيا الأحياء، وهو أحيا الأموات أيضًا، وهو كقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، فإذا عرفتم أنه هو يحيي الأحياء، وهو يميت الأموات لا غير، فاعلموا أنه هو

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي ص ٢٥٩، وقواعد العقائد ص ١١٩، والغنية في أصول الدين ص ١٦٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٠٦)، وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ولم يُخْرِجَاهُ».

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

يبعثكم وإليه ترجعون؛ ألزمهم الحجة أولًا بالكائن، ثم أخبرهم عما يكون بالحجة التي ذكر[١].

فإن قيل: إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ فالجواب: أنهم أُلزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كله[٢].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[فصلت:٢١]؛ وتقريره: أن إنطاق الجوارح أيسرُ مِن خلقها أول مرة، فالقدرة عليه أولى، وإن كان ابتداءَ كلامٍ من الباري جل وعلا، فهو مع ما بعده دليل على الإعادة بقياس الابتداء، أي: أنه يبعثكم كما خلقكم أول مرة، ثم ترجعون إليه[٣].

وقد حُكِي عن بعض العلماء قوله: "لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها؛ إذ لاشك أن الإعادة ثانيًا أهون من الإيجاد أولًا"[٤].

وقال جلت قدرته: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[النحل:٤]، فدلت على نعمه تعالى على الخلائق وقدرتِه وسلطانِه وعلمِه؛ لأنه لو اجتمعوا كلهم على أن يدركوا المعنى الذي به تصير النطفة نسمة وإنسانًا- ما قدروا عليه، حيث خلق من النطفة إنسانًا على

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة ٥٤/٦، وتفسير الواحدي ٥٤٣/٢.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٧٨/١.

(٣) انظر: الإشارات الإلهية ص ٥٥٧، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣٩٥/٧.

(٤) انظر: تفسير الرازي ٥٥٦/٢١.

أحسن تقويم وأحسن صورة. وفيه نقض لقول الدهرية؛ حيث أنكروا خلق الشيء من لا شيء؛ لأنهم لم يُدركوا المعنى الذي به خُلق الإنسان من النطفة، فيلزمهم أن يقروا بخلق الشيء مِن لا شيء، وإن لم يشاهدوا ذلك ولم يدركوا؛ وفيه دلالة: على البعث بعد الموت؛ لأن مَن قَدَرَ على إنشاء الإنسان من النطفة –وليس فيها من آثار الإنسان شيء– يقدر على البعث وإنشاء الأشياء لا مِن شيء[1].

وبيّن الله –جل وعلا– في آية أخرى قدرته على أن يعيد هذا الإنسان الكامل الشديد في خلقه مَنيًّا كما كان، فقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ* إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٧-٨]. وفي هذا يقول الزمخشري: "قبح الله عز وجل إنكارهم للبعث تقبيحًا لا ترى أعجب منه وأبلغ، وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسة، وتغلغله في القحة[2]، حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة...؛ ويقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأه من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها"[3].

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة ٤٧٣/٦.

(٢) من الوقاحة وهو قلة الحياء.

(٣) الكشاف ٣٠/٤ باختصار.

وعن بشر بن جحاش رضي الله عنه قال: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّم هَذِهِ الْآيَةَ {فَمَالِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ، وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}، ثُمَّ بَزَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّم عَلَى كَفِّهِ فَقَالَ: يقول اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ"[١].

ثم قرب القرآن الصورة للأذهان وزادها وضوحًا وبيانًا أكثر: بقياس إعادة الشيء من مادته الأولى، فإنه قد تقرر لديهم وفي نظامهم أن إعادة الشيء من مادته الأولى أيسر عليهم من إيجادها ابتداء، ذلك أن البدء أو النشأة الأولى فيه تدرج من طور إلى طور في إيجاد الأجزاء وتأليفها، وأما الإعادة فليس فيها إلا تأليفها فحسب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]. وهذا -كما ذكر الإمام القرطبي- مَثَلٌ ضربه الله تعالى لعباده؛ يقول: إعادة الشيء على الخلائق أهون من ابتدائه، فينبغي أن يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم وفيما بينكم- أهون عليه من الإنشاء[٢].

ولقد وجّه الله تعالى الأنظار إلى هذا الأمر في سورة مكية تعالج بكاملها قضية النشأة الآخرة؛ ردًّا على قول الشاكين في أمرها، قال

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٨٤٢)، وابن ماجه في سننه (٢٧٠٧)، والحاكم في مستدركه (٣٨٥٥) وصححه.

(٢) انظر: أحكام القرآن ٢١/١٤، وانظر: المتوسط في الاعتقاد ص ٣٩٠، واستخراج الجدال من القرآن ص ٩٤.



سبحانه: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ* قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ* لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٧-٥٠]، فابتدأ الحديث بما يقع تحت حس البشر في حدود المشاهدات، فيعرض أولًا نشأتهم الأولى من مَنيٍّ يُمنى، ثم ينقطع عمل الإنسان، وتبدأ القدرة الإلهية وحدها، فيقول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ* أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ* أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ* نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة:٥٧-٦٢][١].

ثم يدلل على ذلك بعرض صورة من واقع أمرهم، وهو بالحرث والزرع، بحيث يبذر الإنسان البذور، ثم ينتهي دوره، وتأخذ القدرة الإلهية وحدها فيقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٥]، فإذا كان الحرث والزرع يتم بقدرة الله تعالى- فمن باب أولى خلق الإنسان. ثم بعرض صورة مصدر نشأة الحياة كلها وهو الماء العذب الذي هز نفوس البشر أجمعين وخَلّدَتهُ قصائدهم وأشعارهم، فيقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠]، فلو شاء الله لجعله مالحًا لا ينشئ الحياة. ثم بعرض صورة النار ومنشأ وقودها، ويحتاج إليها البشر في كل وقت، وينظرون فيها قدرة الله تعالى في كل لحظة ولمحة، فيقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٢]، وأخيرًا ينتهي السياق بالتحدي والمقارعة فيقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ*

(١)انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٣/٨٠.



وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧](١).

ومما جاء في السنة توضيحًا لذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلَّم: "قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ"(٢).

ولم يقتنعوا بهذا الدليل، ولا زال الشك يجول في أذهانهم، فتدرج القرآن بعلاج هذا التكذيب والتعنت بقاعدة منطقية لا سبيل إلى إنكارها أو تكذيبها، وهي"قاعدة التلازم"، فإن العدم دليل الإيجاد وملازم له، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦- ٦٧]، فمن ضآلة النطفة وهي لا تُرى بالعين المجردة كأن لم يكن لها وجود في الخارج(٣).

ثم يتدرج القرآن في إثبات هذه القضية -بعد أن أثار القوم وأيقظهم من غفلتهم- فوجههم إلى البحث والنظر بشيءٍ من البسط والتفصيل بعد الإيجاز، بقضية ألصق ما تكون بحال أنفسهم وواقع حياتهم؛ ليستدلوا من خلالها على كيفية البعث، وهو مبدأ خلق الإنسان، ومراحل تطور خلقه، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] بما يقابله من كيفية إحياء الأرض الميتة وازدهارها بالحياة، مستدلًّا بذلك على قدرته

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٣٥٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: بَابُ قَوْلِهِ: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الحَطَبِ) (٤٩٧٤).

(٣) انظر: تفسير الرازي ٥٥٦/٢١.



تعالى المحضة في نظامه، وبرغم مرور الإنسان والنبات بهذه التطورات ومراحل الإيجاد التي جعلها الله تعالى سببًا للوجود، فإنه قد يتم وجوده وقد لا يتم، ليكون ذلك دلالة ظاهرة على كمال قدرته تعالى في المعاد[1].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الحج: ٥]؛ فهنا ينادي الله تعالى الذين فقدوا مقومات الإنسانية –يحملون عقولًا ولا يعقلون– إلى إعمال الفكر، حتى يعرفوا أسرار الله تعالى في هذا الكون؛ كيف أن مراحل خلق الإنسان وتطورها المذكورة سبقها انعدام لا حياة لها، ثم وجدت بقدرته تعالى؟ فهذه النطفة الصغيرة العالقة بجدار الرحم، التي تكمن فيها خصائص الإنسان الخِلْقية والخُلُقية، وصفاته العقلية والنفسية من غرائز ونزعات واتجاهات وانحرافات، ثم مرورها بهذه الأطوار الدقيقة المنتظمة التي لا يتصور فيها الحياة، فإذا به إنسان قائم معتدل الخلق، دلالة على أن الإنسان كله خلق من عدم[2].

ثم تدب فيه الحياة، حيث أعطاه الله تعالى القوة شيئًا فشيئًا، ولطف به، فجعله في حنان وعناية الوالدين آناء الليل وأطراف النهار، حتى يصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر، ويبدأ حينئذ دور التكليف والمحاسبة والجزاء: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]، ثم يصبح ضعيفًا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله، لينتقل إلى

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٦٥٣/٣٠.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٠٣/٢٣.





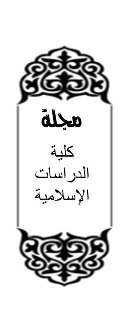
عالم آخر يتم فيه محاسبته ومجازاته على ما قدم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]. فمن كان يتصور أو يصدق -لولا البيان الإلهي- أن هذا الإنسان بلحمه ودمه وعظمه وعصبه وشعره وعقله وفهمه وإدراكه وإرادته وتمييزه ونطقه، كله كان كامنًا في تلك النطفة العالقة؟ وأن هذه النقطة الصغيرة الضئيلة هي هذا الإنسان السوي الممشوق القامة، الذي يختلف كل فرد من جنسه عن الآخر، فهذه المراقبة الدقيقة، والعناية الإلهية الفائقة الشاملة بالقدرة الباهرة والحكمة البالغة، من حين مبدأ خلقه وولادته وبلوغه الأشد إلى ما شاء الله، دلالة على وجوب بعثه ثم محاسبته ومجازاته على ما قدم[١].

وفي قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]، دلالة على البعث؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث وإنشاء الشيء -لا من أصل-؛ لخروج ذلك عن قواهم وتقديرهم؛ فيخبر تعالى أن النطفة تصير علقة -وليس فيها من العلقة ولا من آثارها شيء-، وكذلك العلقة تصير مضغة -وليس فيها من آثار المضغة شيء-، وكذلك المضغة تصير إنسانًا فيه عظم وجلد وشعر ولحم -وليس شيء من ذلك فيها-؛ فمن قدر على ما ذُكِرَ، لَقَادر على خلق الشيء لا من أصل، وقادر على البعث؛ إذ كل ما ذُكر أقروا به وهو خارج عن قواهم وعن تقديرهم، فلزمهم الإقرار بالبعث والإنشاء -لا عن أصل-[٢].

(١) انظر: جامع البيان ٥٦٧/١٨، وزاد المسير في علم التفسير ٢٢٣/٣، وتفسير البيضاوي ١١٤/٤.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة ٢٩١/٨.





ثم يوجه القرآن الأنظار بذكر صورة مطابقة لكيفية خلق الإنسان ومراحل تطوره من واقع حياة الناس، لاستخلاص العبرة على أمر المعاد، عن طريق المماثلة والمشابهة بحال الأرض الميتة اليابسة الجرداء التي سلبت خاصة النماء بفقدان الماء بسبب المحل والجدب والقحط، ثم يبعث الله تعالى فيها الروح بسقيها الماء، قال تعالى:﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، فكيف بالإنسان الذي يعد الحياة أصلًا من أصوله، وجزءًا من أجزائه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [الحج: ٦]، فأحيى النطفة والأرض الميتة مرة بعد مرة، وأقام الأدلة والبراهين على تحقق وقوع البعث من خلال خلق الإنسان ومروره على أطوار مختلفة، وإحياء الأرض بعد موتها وغير ذلك[(١)].

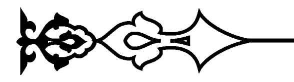
ومن آثار قدرته: أنه أوجد هذه الموجودات الفائتة الحصر التي من جملتها ما ذُكر، كل هذا يثبت ألوهية الله جل وعلا المطلقة، وإنكار ذلك محض مكابرة وعناد يقود الإنسان إلى الخسارة المتحققة.

ويقرب النبي صلى الله عليه وسلَّم هذا المعنى في الحديث الذي رواه أبو رزين العقيلي رضيَ الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٣/١٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦١٩٢)، والحاكم في مستدركه (٨٦٨٢) وصححه.





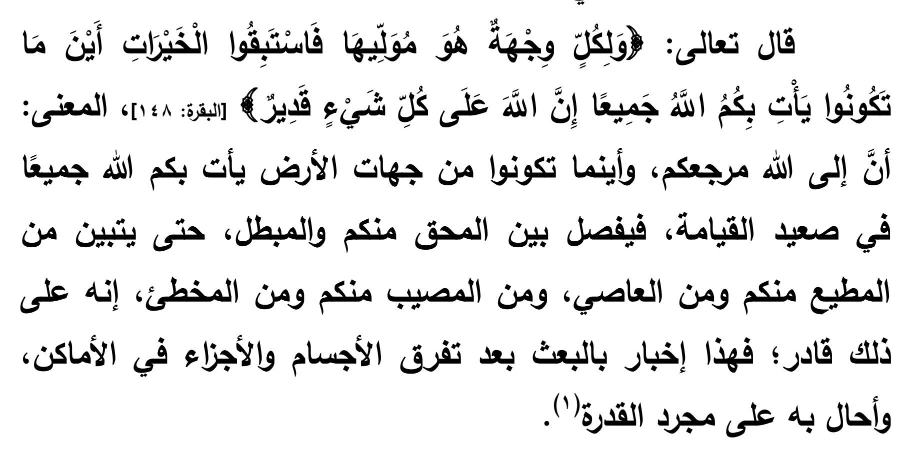
فمن آثار قدرته تعالى: أنه أحيا الأرض، وأخرج منها النبات بعد أن عادت إليها الحياة كأحسن ما كانت نماء وازدهارًا ألوانًا وأشكالًا من كل صنف ولون حسن المنظر طيب الرائحة، فلو كان أمر المعاد مستحيلًا – كما تصوره هؤلاء المنكرون– لما عادت الحياة إلى الأرض الميتة، ولما خرج منها النبات. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]؛ عندئذ يتبدد الظلام وينكشف الغطاء وتتضح الأمور على حقيقتها، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون(١).

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٤/١٢.

المبحث الثاني

الإخبار بالبعث بعد تفرق الأجسام والأجزاء في الأماكن

لقد ورد في القرآن الكريم آياتٌ تُخبر بالبعث بعد تفرق الأجسام والأجزاء، وبيان ذلك ما يلي:



قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، المعنى: أنَّ إلى الله مرجعكم، وأينما تكونوا من جهات الأرض يأت بكم الله جميعًا في صعيد القيامة، فيفصل بين المحق منكم والمبطل، حتى يتبين من المطيع منكم ومن العاصي، ومن المصيب منكم ومن المخطئ، إنه على ذلك قادر؛ فهذا إخبار بالبعث بعد تفرق الأجسام والأجزاء في الأماكن، وأحال به على مجرد القدرة[١].

والله تعالى يبين للمنكرين للإعادة سعةَ علمه سبحانه، فهو تعالى محيطٌ بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يلتبس عليه شيءٌ؛ فهو تعالى يعلم كلَّ جزءٍ لكل ميت، فهذه الأجزاء –وإن غابت عن أبصار البشر– إلا أنها لم تغب عن العليم الخبير[٢].

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩]، فدلت هذه الآية الكريمة على القدرة وإثبات التوحيد، ونظمه: أوليائكم لا يحيون الموتى ولا يقدرون، والإله الحق يحيي ويقدر، فأوليائكم لا شيء منهم

([١]) انظر: مفاتيح الأسرار٢/٦٦٣، وتفسير الرازي ٤/١١٤، والإشارات الإلهية ص ٧٢.

([٢]) انظر: الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ١٢٨.

بإلهٍ حقٍّ[1].

وقال تعالى -مخبرًا عن شبهة منكري البعث من الكفار- : ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، وتقريرها: أننا بالموت نصير ترابًا، والتراب استحال أن يرجع بشرًا سويًّا، فنحن نستحيل أن نرجع بعد الموت بشرًا كما كنا. والجواب: ما أشار الباري جل وعلا إليه بقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]، وتقريره أن يقال: أما قولكم: إنا نصير بالموت ترابًا؛ فصحيح، وأما قولكم: التراب استحال أن يرجع بشرًا سويًّا- فباطل ممنوع، بل هو ممكن، وبيان إمكانه: أن الإنسان ينحل بدنه بعدما تنقص الأرض والبلى منه إلى جواهر حافظة لصورها باقية، ونحن نعلم أعيان تلك الجواهر وأماكنها من الأرض ومن بدن الإنسان، فنحن نؤلف تلك الأجزاء بعضها إلى بعض بعلمنا وقدرتنا، ثم ننشئ عوضًا عما نقصت الأرض منه، ثم نعيده بشرًا سويًّا، وهذا أمر ممكن لا ينكره العقل ولا يقصر عن إدراكه، وإنما ضل هؤلاء من حيث الجهل، إذ نزلوا الممكن البعيد عنهم منزلة المستحيل في نفسه، فاختلط عليهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ. وينتظم الدليل هكذا: الجسم ينحل إلى جواهر معلومة المحال، وكل ما كان كذلك- أمكن إعادته، فالجسم تمكن إعادته، والأولى ثابتة بهذه الآية، والثانية واضحة على ما قررنا[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]، وفيها إثبات البعث على منكريه، وتعليله بأمرين: أحدهما: بيان ما يختلفون فيه.

(١) انظر: الإشارات الإلهية ص ٥٦٣.

(٢) انظر: تفسير الرازي ١٢٤/٢٨، والإشارات الإلهية ص ٥٩٦.

والثاني: تكذيب الكفار في دعاويهم الباطلة، كإنكار البعث ونحوه. فالآية دلت على أن كشف الحقائق المختلف فيها إنما يكون في الآخرة؛ لأن هذه الدار كما أنها دار تكليف لا جزاء، كذلك هي دار خلف لا كشف. وشبهتهم في إنكار البعث: أن الأجسام إذا انحل تركيبها، تلاشت وصارت عدمًا محضًا ونفيًا صرفًا، وإعادة ما ذلك شأنه محال. وجوابه: أننا لا نسلم أنها إذا انحلت صارت عدمًا محضًا، بل تنحل إلى جواهر مفردة قارة الحقائق حافظة لمواد الأجسام، والإعادة بجمع تلك الجواهر وتأليفها ثانيًا كما كانت أولًا، ومثاله: عقد انقطع سلكه فتفرق حبه، فإعادته عقدًا بجمعه ونظمه، سلمنا أنها تصير عدمًا محضًا، لكنها مع ذلك يجوز إعادتها من عدم، كما جاز ابتداؤها عن عدم[1].

([1]) انظر: جامع البيان ٢٠٣/١٧، وتفسير الرازي ٢٠٦/٢٠، وتفسير البيضاوي ٣٩٧/٣.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الثالث

عموم قدرة الله تعالى على جميع الممكنات



قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال جل شأنه في موضع آخر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فهذا بيان لوقوع البعث ومستند صحته، وهو صلاحية القدرة الأزلية لفعل كل ممكن، فلا يحتاج سبحانه إلى ما يحتاج إلى ما يحتاج إليه غيره من الآلات والعلاجات. والمراد من قوله: «كن» نفاذ قدرته في الممكنات، وسريان مشيئته في الكائنات، بحيث يمتنع أن يعرض له عائق ومانع[١].

وذكر الإمام الماتريدي أن هذا اللفظ هو أوجز كلام في لسان العرب يعبر به فيفهم منه، لا أن كان من الله جلت قدرته كاف أو نون، لكنه ذكر ليعلموا أن ليس على الله تعالى في الإحياء والإنشاء بعد الموت مؤنة؛ كما لم يكن على الخلق في التكلم بـ"كن" مؤنة، ولا يصعب عليهم ذلك؛ فعلى ذلك ليس على الله تعالى في البعث بعد الموت مؤنة ولا صعوبة[٢].

وبيان إمكان الحشر والنشر في الآيات السابقة: أن كونه تعالى موجدًا للأشياء ومكونًا لها لا يتوقف على سبق مادة ولا مدة ولا آلة، وهو تعالى إنما يكونها بمحض قدرته ومشيئته، وليس لقدرته دافع ولا لمشيئته مانع، فعبّر تعالى عن هذا النفاذ الخالي عن المعارض بهذه الآيات، وإذا كان كذلك، فكما أنه تعالى قدر على الإيجاد في الابتداء وجب أن يكون

(١) انظر: تفسير الرازي ٧٦/١.
(٢) انظر: تأويلات أهل السنة ١٢٧/٤.



قادرًا عليه في الإعادة.

ولقائل أن يقول: قوله "كن" إن كان خطابًا مع المعدوم فهو محال، وإن كان خطابًا مع الموجود كان هذا أمرًا بتحصيل الحاصل وهو محال. والجواب: أن هذا تمثيل لنفي الكلام والمعاياة وخطاب مع الخلق بما يعقلون، وليس خطابًا للمعدوم؛ لأن ما أراده الله تعالى فهو كائن على كل حال وعلى ما أراده من الإسراع، ولو أراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والأرض في قدر لمح البصر لقدر على ذلك، ولكن العباد خوطبوا بذلك على قدر عقولهم(١).

فإن قال المنكرون للبعث: لا نسلم أن إعادة المعدوم وبعث الموتى ممكن حتى يدخل تحت عموم المقدورية. قيل لهم: بيان إمكانه يكون من وجهين: أحدهما: أنه لا يلزم من فرض وقوعه محال لذاته. والثاني: أن كل حقيقة وماهية من جسم وغيره فوجودها من حيث هو إما ممكن أو ممتنع، فإن كان ممكنًا حصل المقصود وجاز إيجادها ثانيًا كإيجادها أولًا، وإن كان ممتنعًا فامتناعه إما لذات تلك الماهية، أو لبعض لوازمها، أو لأمر خارج عنها، فإن كان لذاتها أو للازمها لزم ألا توجد ابتداء، وإنه باطل؛ لأنها قد وجدت ابتداء، فتعين أن امتناع وجودها لأمر خارج عن حقيقتها وعارض من عوارضها، وذلك العارض يجوز انفكاكه عنها ومفارقته لها، فيزول امتناع وجودها لزوال سببه، وحينئذ يبقى وجودها جائزًا، وهو المطلوب، أو نقول: يكون وجودها معلقًا على أمر ممكن؛ وهو انفكاك ذلك الأمر العارض عنها، والمعلق على الممكن ممكن، فكل ماهية

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٠٧/٢٠.



إعادتها ممكنة، وهو المطلوب[١].

وربما قال قائل: إنما دل هذا الدليل على أنه قادر على أن يخلق مثل الناس، وهو ابتداء خلق، والنزاع في الإعادة لا في ابتداء الخلق. فيُقال: لعل الباري نبّه بهذا على أنه سبحانه على الإعادة أقدر؛ إذ قد تقرر في دليل سابق أن الإعادة أهون من الابتداء[٢].

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]، **وهذه الآية حجة على البعث في هذا الباب؛ لأن الليل مظلم كثيف، كالعظام البالية مظلمة لعدم الحياة، كثيفة لتمحض طبيعة الأرض فيها، ثم إن النهار مشرق لطيف، كالجسم الحي مشرق بنور الحياة، لطيف بما فيه من العنصر المائي اللطيف، ثم لما كان سلخ النار من الليل ممكنًا، فكذلك إخراج الأجساد الحية من العظام البالية[٣].**

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، **قال الزجاج: "احتج الله جل ثناؤُه عليهم بما يشاهدون من خَلْقِه؛ لأنهم أنكروا البعث، فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء وأنه قادر على بعثهم"[٤].**

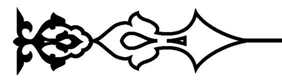
---

(١) انظر: الإشارات الإلهية ص ٣٧٦.

(٢) انظر: الإشارات الإلهية ص ٥٢٦.

(٣) انظر: تفسير الرازي ٢٧٥/٢٦، والإشارات الإلهية ص ٥٢٠.

(٤) انظر: معاني القرآن ٢٧٣/٢، وتفسير الواحدي ٣٠٤/٨.

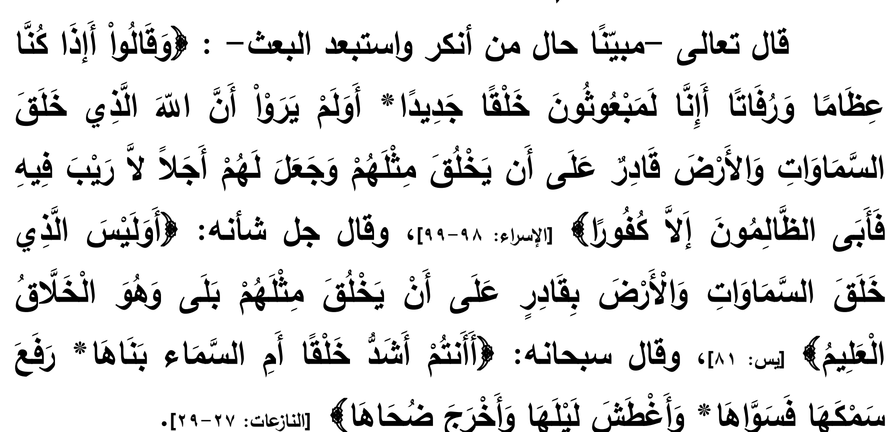





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الرابع

القادر على الأعظم يكون على الأيسر أقدر بالضرورة



قال تعالى –مبيّنًا حال من أنكر واستبعد البعث– : ﴿وَقَالُواْ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٨-٩٩]، وقال جل شأنه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا* رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩].

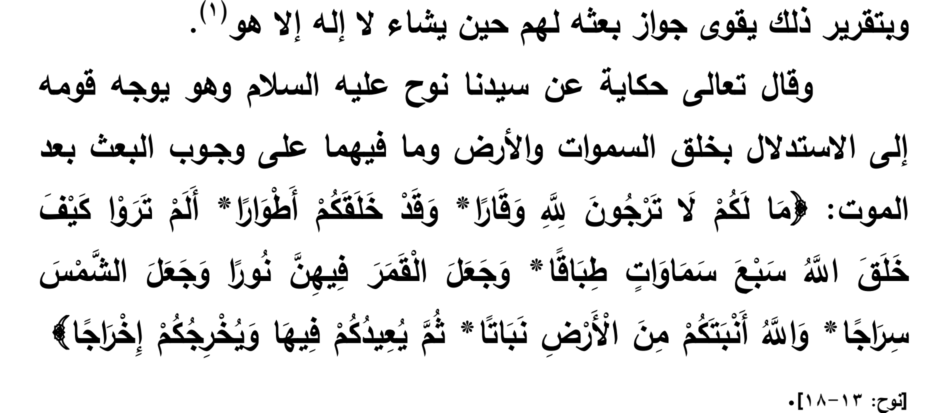
وتقرير هذه الدليل(١): أن خلق السموات والأرض أعظم من إعادتكم وبعثكم، فالقادر على ذلك، قادر على بعثكم بطريق أولى، لأن خلق السموات والأرض أعظم من ابتداء خلقكم، وابتداء خلقكم أعظم من إعادتكم، فينتج من ذلك: أن خلق السموات والأرض أعظم من إعادتكم. بيان الأولى: قوله جل وعلا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وبيان الثانية: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وإن شئت فاعكس واستدل بالأهون، فقل: إعادتكم أهون من ابتدائكم، وابتدائكم أهون من خلق السموات والأرض، فإعادتكم أهون من خلق السموات والأرض، والأهون من الأهون أهون، فالقادر على الأعظم

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٤٢/٣١، والإشارات الإلهية ص ٤٠٤، والرسالة التسعينية ص ٢٤٢.

الأصعب يكون على الأيسر الأهون أقدر بالضرورة. ومن أتقن علم الهيئة والطب بحيث يقف على عجائب أشكال الأفلاك ودوائرها، وبدائع عجائبها وأجناس ما في السموات والأرض وأنواعها وأصنافها وأشخاصها علم أن في ذلك من الحكمة وبديع الصنعة أضعاف ما في بدن الإنسان من الحكمة التي عرفت بالتشريح، فهو إذن احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث، وذلك أنهم قرروا على خلق الله تعالى واختراعه لهذه الجملة التي البشر جزء منها فهم لا ينكرون ذلك، فكيف يصح لهم أن يقروا بخلقه للكل وإخراجه من خمول العدم وينكرون إعادته للبعض؟ فحصل الأمر في حيز الجواز. ومقصد هذا الكلام بيان قدرة الله عز وجل وملكه لخلقه وبتقرير ذلك يقوى جواز بعثه لهم حين يشاء لا إله إلا هو(١).

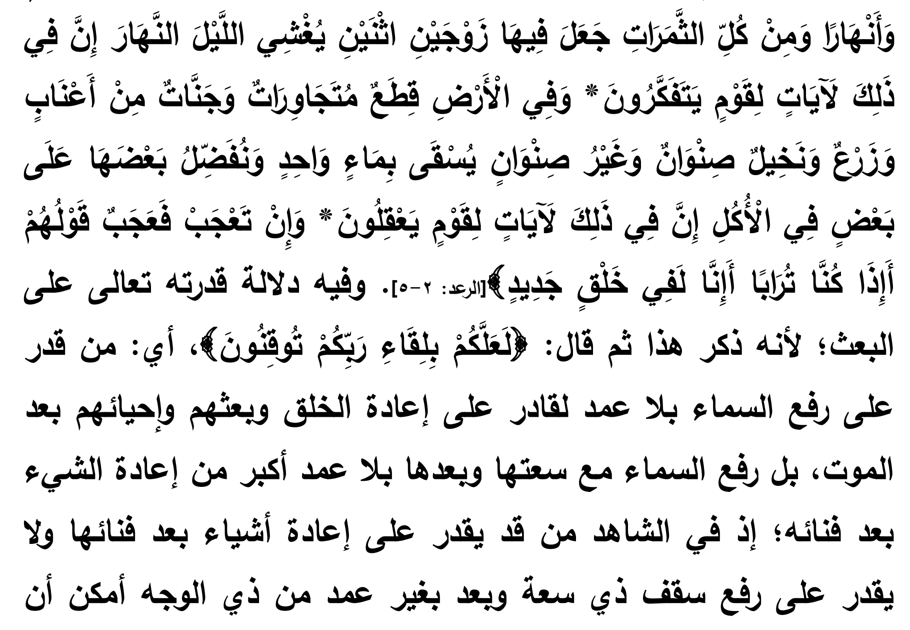


وقال تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام وهو يوجه قومه إلى الاستدلال بخلق السموات والأرض وما فيهما على وجوب البعث بعد الموت: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٣-١٨].

وقد أشار القرآن إلى هذا في موضع آخر أكثر بيانًا وتفصيلًا فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ

---

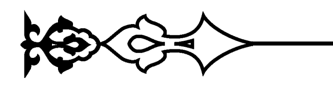
(١) انظر: الكشف والبيان ٣٠١/٧، والمحرر الوجيز ٥٠٧/٣، وحاشية الطيبي على الكشاف ٣٨٣/٩.



وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[الرعد: ٢-٥]. وفيه دلالة قدرته تعالى على البعث؛ لأنه ذكر هذا ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، أي: من قدر على رفع السماء بلا عمد لقادر على إعادة الخلق وبعثهم وإحيائهم بعد الموت، بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد أكبر من إعادة الشيء بعد فنائه؛ إذ في الشاهد من قد يقدر على إعادة أشياء بعد فنائها ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد من ذي الوجه أمكن أن يحتج[١].

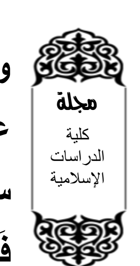
وقال المولى عز وجل في موضع آخر: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، أي: خلق سيدنا آدم عليه السلام أبا البشر من طين، وخلق بني آدم من النطفة، وخلق سيدنا عيسى عليه السلام لا من الطين ولا من الماء؛ ليعلموا أنه تعالى قادر على إنشاء الخلق لا من شيء، وأنه لا اختصاص للخلق بشيء، ولا ينكرون أيضًا إنشاء الخلق وإحياءهم وموتهم، وذلك لأنه لا يخلوا إما أن صاروا ترابًا أو ماء، أو لا ذا ولا ذا، فإذا رأوا أنه خلق سيدنا آدم عليه السلام من الطين، وخلق سائر الحيوان من الماء، وخلق سيدنا عيسى عليه السلام لا من هذين، كيف أنكروا إنشاء الخلق بعد الموت، وهو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا؛ فيكون دليلًا على منكري البعث

(١) انظر: تأويلات أهل السنة ٦/٣٠٢.



بعد الموت[1].

وفي سورة "المؤمنون" بعد أن ذكر الله تعالى خلق الإنسان ومراحل أطواره، عقبه بعد ذلك بخلق السموات وما ينزل منها ليستدل به على وجوب بالبعث بعد الموت فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ* وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ* وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٨].



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وفي موضع آخر من السورة يذكر تعالى بعض آلائه الكبرى وتصرفه المطلق فيها فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ* بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ* قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ* قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ* بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٩-٩٠]، فمن قدر على خلق هذه الكائنات العظيمة التي لا يُعَد الإنسان بجانبها شيئًا، وله التصرف المطلق فيها خلقًا وإيجادًا

---

(1) انظر: تأويلات أهل السنة ٦/٤، وزاد المسير في علم التفسير ٨/٢.

وفناء، له البعث بعد الموت وهو مالك يوم الدين. وهذا من باب الاستدلال بالأعلى على الأدنى وبالأكبر على الأصغر، فإن نسبة البشر إلى السموات والأرض لا يساوي شيئًا، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] (١).

وفي مقابل ذلك ذكر الله تعالى منوهًا بغاية ضعف الناس ورخاوتهم في أصل خلقتهم: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]. وتقرير نظم هذه الآية يقع على وجهين(٢):

أحدهما: أن يقال: إنه قدر على ما هو أصعب وأشد وأشق منه، فوجب أيضًا أن يقدر عليه.

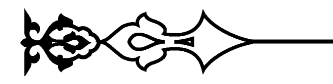
والثاني: أن يقال: إنه قدر عليه في إحدى الحالتين، والفاعل والقابل باقيين كما كانا، فوجب أن تبقى القدرة عليه في الحالة الثانية، والله تعالى ذكر هذين الطريقين في بيان أن القول بالبعث أمر جائز ممكن.

أما الطريق الأول: فهو المراد من قوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾، والتقدير: كأنه تعالى يقول: استفت يا محمد هؤلاء المنكرين، أهم أشد خلقًا من خلق السموات والأرض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك؟! ولا شك أنهم يعترفون بأن خلق

---

(١) انظر: تفسير ابن فورك ٩١/١، والمحرر الوجيز ٥٦٥/٤، وتفسير البيضاوي ١٦٤/٤.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٣٢١/٢٦.



هذا القسم أشق وأشد في العرف من خلق القسم الأول.

وأما الطريق الثاني: فهو المراد من قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، والمعنى: أن هذه الأجسام قابلة للحياة؛ إذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الأولى، والإله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الأجسام، ولولا كونه تعالى قادرًا على هذا المعنى لما حصلت الحياة في المرة الأولى، ولا شك أن قابلية تلك الأجسام باقية، وأن قادرية الله تعالى باقية؛ لأن هذه القابلية -وهذه القادرية- من الصفات الذاتية، فامتنع زوالها، فثبت بهذين الطريقين: أن القول بالبعث أمر ممكن؛ ولمَّا بيَّن تعالى إمكان هذا المعنى بهذين الطريقين، بيَّن وقوعه بقوله: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات:١٨]، وذلك لأنه ثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلَّم لأجل ظهور المعجزات عليه، والصادق إذا أخبر عن أمر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه.

وكذلك فإن الرب الذي خلق أعظم الكائنات من مادتها ومن غير مادتها بل ومن ضدها كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ* أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨٠-٨١] من باب أولى قادر ابتداء وإعادة على خلق أضعف الأشياء وأصغرها لا سيما من مادتها الأولى، ومن جملة ذلك البشر الذين خلقوا من مادة لا توصف بالصلابة ولا القوة، وهذا ما يشير إليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا

رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩] (١).

وفي موضع آخر يبين الله تعالى مدى قوته وقدرته بعد تحقق ذلك في علم البشر بدليل العقل، بأنه تعالى خلق الأشياء العظيمة وهو لم يحتج إلى عدة أو عتاد أو معونة، ولم تسبب له تعبًا أو إعياء، فكيف بأصغرها؟ ومن جملتها أمثالهم من الإنس، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، لأنهم ليسوا بأشد خلقًا منهن، كما قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

ومن الآيات التي استدل فيها بهذا المسلك: قول الحق سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥٥]، ففيها دلالة إثبات البعث من وجهين(٢):

أحدهما: فيما يذكر من قدرته تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما بغلظهما وكثافتهما وشدتهما وعظم خلقتهما، وأن تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهمهم، فمن قدر على ذلك فهو قادر على إحياء الخلق بعد فنائهم.

والثاني: يخبر عن حكمته تعالى من تعليق منافع الأرض بالسماء على بعد ما بينهما، والإفضال على الخلق بأنواع النعم التي تكبر الإحصاء، وأن كل شيء منها قد وضع مواضعها، فلا يحتمل من هذا وصفه في الحكمة يخلق شيئًا عبثًا باطلًا ولو كانوا للفناء لا حياة بعده

---

(١) انظر: معاني القرآن ٣٧٧/١، ودرج الدرر ١١٢٧/٣، والانتصار للعمراني ١٢٨/١.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة ٥٤/٦.



كان يكون خارجًا عن الحكمة، فظهر أنه تعالى خلقهم لأمر أراد بهم.





المبحث الخامس

الإيقاظ من النوم الطويل دليل على البعث

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

وجه الدلالة من الآية[١]: أنه تعالى جعل إيقاظهم من نومهم الطويل دليلًا على البعث بعد الموت؛ لأن النوم أخو الموت، بجامع تعطل الحس، غير أن الموت نوم ثقيل، والنوم موت خفيف، فكما قَدَرَ الله تعالى على حفظ أجسادهم مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فكذلك يقدر على حشر الأجساد بعد موتها، لذلك فإن هناك تقاربًا بين النوم والموت، قال سيدنا علي بن أبي طالب: "الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا"[٢]، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: أفي الجنة نوم؟ قال: "لا، لأن النوم أخو الموت"[٣].

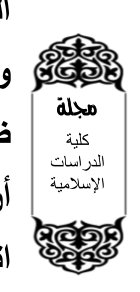
وقال تعالى :﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢]، فالنفس الإنسانية عبارة عن جوهر

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٤٤٦/٢١، وتفسير البيضاوي ٤٨٦/٣.

(٢) انظر: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للإمام السيوطي (٤٢٧).

(٣) قال العجلوني: «رواه البزار والطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن جابر قال: "قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال: "لا، النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا يموتون ولا ينامون". لكن لفظ البيهقي عن جابر كما في "الجامع الكبير": "النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة» اهـ. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢٨٦٨).



مشرق روحاني، إذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الأعضاء، وهو الحياة، فنقول: إنه في وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه، وذلك هو الموت، وأما في وقت النوم فإنه ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه، ولا ينقطع ضوءه عن باطن البدن؛ فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع تام كامل، والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه، وإذا ثبت هذا، ظهر أن القادر العالم الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، وذلك اليقظة.

ثانيها: أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه، وذلك هو النوم.

ثالثها: أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية، وهو الموت؛ فثبت أن الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفياً للنفس، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة في صفات معينة، ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره إلا عن القادر العليم الحكيم(1).

فإذا كان النوم واليقظة على بساطتهما يتمّان بقضاء الله تعالى وقدره، فما كان أعظم وأكبر منهما مثل البعث والمعاد أولى بذلك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ* ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ

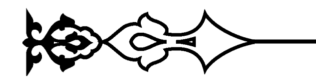
(1)انظر: تفسير الرازي ٢٦/٤٥٦.

أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٠- ٦٢].

فهذه الآيات -وإن كانت خبرًا من الله تعالى عن قدرته وعلمه- فإن فيها احتجاجًا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم، ودل ذلك على إمكان البعث والحشر؛ لأن النشأة الثانية منزلتها بعد الأولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أنَّ مَن قَدَرَ على أحدهما فهو قادر على الأخرى، فناسب تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢]، أي: في معرفة حقيقة ما بين الموت والحياة واليقظة والنوم من المناسبة، فإذا جهلنا حقيقة النوم وكيفية حصوله -رغم بساطته ورغم تعاقبه والتصاقه بحالنا- فمن باب أولى ألا ندرك سر الإحياء وحقيقته، فكم في الكون أشياء لا يدرك العبد -على بساطتها- حقائقها؛ لما أودع الله تعالى فيها من الأسرار والكَوامِن ما يقف الإنسان عندها مستسلماً، مستضعِفاً نفسه، مستصغراً تفكيره، مؤمنًا موقنًا، مع ما في ذلك من منافاة الإيمان بالغيب[1].



([1])انظر:تفسير أبي السعود ١٤٤/٣، ومدارك التنزيل ٥١٠/١، وتفسير البيضاوي ٤١٦/٢.








مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث السادس

قياس إخراج الموتى من الأرض على إخراج الحي من الميت



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧].

فقد دلت الآيتان على إمكان البعث والمعاد من خلال قياس إخراج الموتى من الأرض على إخراج الحي من الميت، ونظمه هكذا: البعث إخراجُ حيٍّ من ميت، وهو ممكن، وكل ممكن مقدور، فالبعث مقدور. أما أن البعث إخراج حي من ميت؛ فلأن الأرض والرمم موات يخرج منها الناس أحياء، وإنما قلنا: إن ذلك ممكن؛ لأنه لا يلزم منه محال لذاته، وقياسًا على إخراج الحيوان الحي من حيوان ميت، وهو كثير مشاهد في بني آدم وغيرهم، وأما أن كل ممكن مقدور فواضح[١].

ومن أمثلة هذا الاستدلال: خلقه جل وعلا لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ابتداء. ومنها: قصة البقرة وهي قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣]، فهي مخاطبة من الله تعالى عباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه -جل ثناؤه- من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا، فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات: اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث. وإنما احتج جل ذكره بذلك

(١) انظر: الإشارات الإلهية ص ٤٩٥.

على مشركي العرب، وهم قوم أميون لا كتاب لهم؛ لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم، وفيهم نزلت هذه الآيات، فأخبرهم تعالى بذلك ليتعرفوا علم من قبلهم(١).

ومنها: قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فهو يطلب الطمأنينة على الإحياء بعد الإماتة على صيغة السؤال(٢).

واختلفت الأخبار المنقولة عن علماء السلف في سبب سؤال الخليل -عليه السلام- ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، فجاء عن الحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم أنه سأل ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين؛ وقيل غير ذلك؛ وعلى كل حال فسؤال الخليل عليه السلام لم يكن عن شك أصلاً؛ بدليل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ أي: أنا مؤمن، ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٣).

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[البقرة: ٢٥٩]، حيث تعجب "عزير" من إحيائه قرية خاوية على عروشها، وإحياء الموتى التي صارت عظامًا ورفاتًا، كيف أعلمه في نفسه وطعامه وحماره؟ فهي لم تكن صيغة إنكار، بل صيغة تعجب واستخبار، فكان يطلب اليقين بالإحياء بعد الإماتة، فلما تبيّن له قال: أعلم أن الله على كل

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٣٢/٢، وحاشية الطيبي على الكشاف ٥٣٨/٢.

(٢) انظر: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ٩٩١/٢.

(٣) انظر: الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص١٢٥ - ١٢٦.

شيء قدير إحياءً وإماتةً وإبداءً وإعادةً ونشرًا وحشرًا[1].

ومنها: قصة سيدنا يحيى وعيسى عليهما السلام، فإنه تعالى استدل على إمكانهما بعين ما استدل به على جواز الحشر، حيث قال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

ومنها: قصة أصحاب الكهف، حيث إنهم لما رأوا أنه أنامهم مدة طويلة خارجة عن العادة، وحفظهم من كل ضرر وأذى وفساد، وأبقاهم من غير طعام ولا شراب -على علم منهم أن الأنفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة بكثير فضلًا أن تبقى إلى مثل تلك المدة- علموا أن من قدر على حفظ ما ذكرنا وإبقائهم، لقادر على البعث والإحياء، ولا يعجز عن شيء يريد كونه، وأنه فعال لما يريد، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١] [2].

ومنها: قصة سيدنا أيوب عليه السلام، وهي قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، حيث دل على أنه تعالى أحياهم بعد أن ماتوا.

ومنها: ما أظهره الله تعالى على يد سيدنا عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، حيث قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠][3].

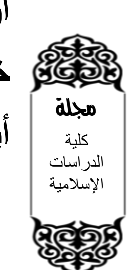
ومنها قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧]،

([1]) انظر: الكشف والبيان ٢٤٢/٢، ومفاتيح الأسرار ٩٨٢/٢، ومعالم التنزيل ٣١٩/١.

([2]) انظر: تأويلات أهل السنة ١٥٥/٧.

([3]) انظر: تفسير ابن فورك ٤٢٢/١، وتفسير الرازي ٣٥٦/٢.





والإنسان: اسم للجنس، يُراد به الكافر، وقد روي أن سبب هذه الآية هو أن رجالًا من قريش كانوا يقولون هذا ونحوه، وذُكر أن القائل هو أبُيُّ بن خلف، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم بعظم مرفت، فنفخ فيه، وقال: أيبعث هذا؟ وكذب وسخر.



المبحث السابع

قياس البعث على إحياء الأرض بالمطر بعد موتها

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

تضمنت الآيات السابقة الدليل المشهور على الإعادة بقياسها على إحياء الأرض بالمطر والنبات، ونبّهت على الجامع، وهو الإمكان والقدرة، والإمكان من لوازم المقدورية[١].

وقد أشار الرازي إلى أن قوله تعالى -في الآية الأخيرة- : ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ [يس: ٣٣] له فائدة بالنسبة إلى بيان إحياء الموتى، وذلك أنه لما أحيا الأرض وأخرج منها حبًّا، كان ذلك إحياء تامًّا؛ لأن الأرض المخضرة التي لا تنبت الزرع، ولا تخرج الحب دون ما تنبته في الحياة، فكأنه قال تعالى: إنَّ الذي أحيا الأرض إحياء كاملًا منبتًا للزرع، فهو يحيي الموتى إحياء كاملًا بحيث تدرك الأمور[٢].

وفي قوله جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣] وجهان من الاستدلال على

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٨٩/٢٥، ١٠٩، والإشارات الإلهية ص ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٢٠.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٧٢/٢٦.

منكري البعث:

أحدهما: يخبر عن قدرته تعالى وسلطانه، فإن مَن قدر على إنزال الماء من السماء وشق الأرض وإخراج النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الأرض وشدتها، قادر على إحياء الخلق بعد الموت، ولا يحتمل أن يعجزه شيء.

والثاني: أنه حيث قدر المولى -عز وجل- على إحياء الأرض بعد مواتها ويبسها، لقادر على البعث والإحياء؛ وقد عرفوا أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه، أو يقدر على الإعادة مَن لا يملك على الابتداء[1].

وقد ذكر قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧] الاحتجاج على من أنكر البعث؛ فمن قدر على سوق الماء إلى الأرض الميتة اليابسة وإحيائها، قادر على الإحياء بعد الموت؛ إذ الأعجوبة والقدرة في إحياء الأرض الميتة اليابسة إن لم يكن أكثر فلا تكون دون ما أنكروا؛ فكيف أنكرتم القدرة على إحياء الموتى، وقد عاينتم ما هو أكثر أو مثله؟![2]

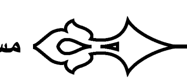
ومن أمثلة هذا الاستدلال:

قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، فها هنا استدلال على البعث بإحياء الأرض كما سبق، وينتظم القياس اقترانيًّا واستثنائيًّا.

---

(1) انظر: تأويلات أهل السنة ٧/٤٣٧.

(2) انظر: تأويلات أهل السنة ٨/٣٤٥.



أما الاقتراني فهكذا: "إحياء الموتى كإحياء الأرض ممكن مقدور، فإحياء الموتى ممكن مقدور"، أما الأولى: فلأن الأرض تكون يابسة قد غلب عليها اليبس والغبار، وهي هامدة خاشعة، أي: متواطئة، فينزل عليها ماء المطر، فيتخلل أعماقها، فتربو وترتفع، وتنبت الحب الذي فيها، فإذا هي تهتز خضراء؛ وكذلك الموتى غلب عليهم اليبس الذي هو طبيعة الأرض، فيجمعها الله تعالى، ثم يمطر عليها ماء قدرته، فيعود إلى العظام ما كان لها حال الحياة من رطوبة وغيرها، ثم تعاد إليها الأرواح، وأما الثانية: فمشاهدة؛ إذ الأرض تكون مواتًا فتحيا. وأما الاستثنائي فهكذا: "إن كان إحياء الأرض بعد موتها ممكنًا، فإحياء الموتى ممكن، والمقدم حق، فالتالي مثله"؛ والتقرير: ما سبق مِن أنه تعالى على كل شيء قدير، إشارة إلى الجامع في القياس، وهو المقدورية وتمام القدرة، أي: أن المصحح لإحياء الأرض: المقدورية والإمكان، وهو وإحياء الموتى في ذلك سيان. وبالجملة: فإن عودة التأليف والتركيب إلى تلك الأجزاء المتفرقة ممكن لذاته، وعود الحياة والعقل والقدرة إلى تلك الأجزاء بعد اجتماعها أيضًا أمر ممكن لذاته، والله تعالى قادر على الممكنات، فوجب أن يكون قادرًا على إعادة التركيب والتأليف والحياة والقدرة والعقل والفهم إلى تلك الأجزاء، وهذا يدل دلالة واضحة على أن حشر الأجساد ممكن لا امتناع فيه البتة(1).

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ* رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١]. وتوجيه الآية: أن أجزاء الجسم القارة

(1) انظر: تفسير الرازي ٥٦٧/٢٧.



في الأرض كحب الزرع في الأرض، وإخراجه حيًّا من الأرض كإخراج الحب نباتًا منها، وكيفية ذلك ما سبق(١).

فهذا الدليل يثبت عظمة القدرة الإلهية وسعتها، وهو دليل يقرّب أمرَ الإعادة، ويُبين أنَّ لها نظائر وأشباهاً مشهودة أمامهم، وذلك أنه سبحانه وتعالى أنبت في هذه الأرض مِن حبة أو نواةٍ دفينة في بطنها أصنافاً من زروع وأشجار وثمار على مختلف ألوانها وطعمها وتنوع منافعها، وذلك دليل باهر يبصر به أرباب البصائر، ويستدل به أولوا العقول على إثبات البعث، وكيفية الإعادة لهذا الجسم الذي تحتفظ الأرض بأجزائه مهما تفرقت وتبددت وتباعدت، ومن تلك الأجزاء الدفينة يُنشئ اللهُ تعالى النشأة الآخرة؛ ولذا قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ، أي: مثل هذا الإخراج المشهود المعاين أمامكم من الأرض يكون إخراجكم منها بعد ما غيبتم فيها ودفنتم في أنحائها(٢).

وإن حقيقة الحياة في حد ذاتها ذات طبيعة ونوع واحد، ولكنها تختلف في أشكالها وألوانها حسب ملابساتها، ولقد دعا القرآن إلى استخلاص ذلك من واقع أمر البشر، كما حكى الله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام وهو يدعو قومه إلى معرفة أمر البعث فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨]. وفي سورة أخرى يذكر اللهُ تعالى هذا التشابه مفصلًا فيقول: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا* وَحَدَائِقَ غُلْبًا* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٤-٣١].

---

(١) انظر: تفسير الرازي ١٢٩/٢٨، والإشارات الإلهية ص ٥٩٧.

(٢) انظر: الإيمان بعوالم الآخرة للشيخ عبد الله سراج الدين ص١١٨-١١٩.





ثم ربط القرآن حقيقة الحياة الدنيوية لبعض مخلوقات الله، وبين النشأة الأخرى، موضحًا ذلك على طريقة الناس في معرفتهم لنشأة هذه الحياة، فيصور كيفية انبعاث الحياة في الأبدان المودعة في القبور، بحال انبعاث الحياة في النبات المودعة في الأرض، بما يطرأ عليهما من أحوال مختلفة من حياة وموت بطريقة متعاقبة، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، فخروج النبات: يكون من بذرة مودعة في الأرض بعد سقيها الماء، والموتى: من العصعص أو عجب الذنب المودع في الأرض بعد نفخ الروح فيهم. ووجه التشبيه بقوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فيه وجوه(١):

أحدها: أن الأرض الميتة قبلت الحياة اللائقة بها، فكذلك الأعضاء تقبل الحياة.

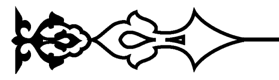
وثانيها: كما أن الريح يجمع القطع السحابية، فكذلك يجمع بين أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء.

وثالثها: كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت، فإنا نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت.

ويؤكد الله تعالى هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٢-٢٣]، فلو يستحيل في نظر المنكرين إعادة الحياة إلى الإنسان، لاستحال إعادة الحياة إلى النبات؛ لأن المشابهة في إعادة الحياتين واحدة، كما يبيّن تعالى ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٦/٢٢٥، والمحرر الوجيز ٤/٤٣٠.



الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام: ٩٩]، احتج الله تعالى –في هذه الآية– بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال، بما يعلمون أنه لا يقدر عليه المخلوقون، وكذلك الله تعالى يبعثهم؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث، فأعلمهم أن فيما قص عليهم دليلًا على أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيى الموتى ويبعثهم[1].

وفي قول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥] دلالةٌ على البعث بعد الموت أيضًا، فالحب والنوى ميت، يخرج منهما النبات الأخضر حيًّا، ثم يميت ذلك ويخرج منه حبًّا ونوى، فكأنه يقول: إن الذي قدر على إخراج النبات الأخضر الحي من حبة ميتة أو نواة ميتة – وليس فيها من أثر ذلك الحي شيء–، لقادر على أن يبعثهم ويحييهم بعد الموت –وإن لم يبق من أثر الحياة شيء–، فاحتج الله –جل ثناؤه–

(1) انظر: معاني القرآن ٢/٢٧٧، وتفسير الواحدي ٨/٣٢٥.

عليهم بما يشاهدون من خَلْقِه؛ لأنهم أنكروا البعث، فأعلمهم أنه هو الذي خلق هذه الأشياء، وأنه قادر على بعثهم[١].



(١) انظر: معاني القرآن ٢٧٣/٢، وتأويلات أهل السنة ١٨١/٤، ومدارك التنزيل ٥٢٣/١.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الثامن

الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء بعد الموت


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

لقد ذكر القرآن وقائع وقصص متعددة، مختلف الأشكال والأجناس والأنواع؛ ليدلل على صدق ما أخبر به الرسل عليهم السلام من أمر المعاد، حتى يراه الناس حقيقة عيانًا؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وهذه الوقائع هي: قصة صاحب القرية، وإحياء الطيور لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقصة الملأ من بني إسرائيل، وقصة قوم سيدنا موسى عليه السلام السبعون، وقصة القتيل الذي ضرب بعضو البقرة المذبوحة.

ونأتي الآن إلى ذكرها اختصارًا:

- **قصة صاحب القرية[١]:**

ذكر القرطبي وغيره: أن هذه القرية هي بيت المقدس، خربها الملك الجبار "بختنصر"، وقتل أهلها، فمر عليها "عزير" فإذا بالقرية خَرِبة مدمرة، قد اختلطت معالمها البارزة بترابها، وتطامنت شواهقها، وارتطمت بأسفلها، وسقطت سقوفها على عرصاتها، فوقف "عزير" متفكرًا فيما آل أمر هذه القرية إليه بعد العمارة، مستعظمًا قدرة الله تعالى، ومعترفًا بالعجز عن معرفة طريق الإحياء قائلًا: أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأراد الله تعالى ذلك في عالم الواقع ليكون ذلك أبلغ في المعرفة؛ لأن أحاسيس الإنسان ومشاعره أحيانًا لا تقبل مجرد دليل، فأخبر الله تعالى عن هذه القصة بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ

---

(١) انظر في تفصيلها: جامع البيان٥/٤٣٨، وأحكام القرآن ٣/٢٨٨، وحاشية الطيبي على الكشاف ٣/٥٠٧.



أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٥٩]، فأراه الله تعالى أبعد الأمرين في نفسه على أبلغ وجه، حيث أماته، فاختلط لحمه وعظمه وشعره بالتراب، ثم أحياه حيث أحيا له الحمار، وحفظ طعامه من الفساد، ليكون ذلك آية على قدرة الله جل وعلا على البعث والإعادة ودرسًا لغيره.

قال أبو حيان: "وفي هذه الآية أقوى دليل على البعث؛ إذ وقعت الإماتة والإحياء في دار الدنيا مشاهدة"[١].

وقد ذكر الألوسي أن كلمة البعث في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ توحي على أنه قام حيًّا على وجه السرعة والسهولة كهيئته يوم مات عاقلًا فاهمًا مستعدًا للنظر والاستدلال، فوجد البلدة قد عمرت وتكامل ساكِنُوها، حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه، ثم سأله على وجه الإلزام لِيُظْهِر له عجز العبد عن الإحاطة بشئون الله تعالى، لكن القدرة الإلهية لا تحيطها عقول البشر الضعيفة، فكيف يستبعدون ما هو ممكن من أمر البعث[٢].

- قصة إحياء الطيور لسيدنا إبراهيم عليه السلام:

تؤكد هذه الحكاية كسابقتها أمر الخلق والمعاد والبعث في صورة تطبيقية، وذلك من خلال اتحاد في الجنس واختلاف في النوع، ليطابق

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير ٢/٦٤٠.

(٢)انظر: تفسير الألوسي ٢١/٣.



ذلك حال الناس وقد اختلطت أجزاؤهم وتحللت بعناصر مختلفة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. ولا نشك في إيقان سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفي إيمانه الكاملين، ولكن -كما ذكر بعض العلماء- أنَّ هذا كان على سبيل التواضع وهضم النفس، وزيادة العلم والاستفادة من معرفة كيفية الإحياء التي فيها الطمأنينة بعلم الكيفية[١].

وليمتع نظره وقلبه وقالبه وروحه وعصبه ودمه ولحمه وعظمه وشعره برؤية هذا المنظر الجليل الدال على القدرة الربانية المحضة التي تغيب حقيقتها عن أنظار البشر، وليترقى بهذه المشاهدة من علم اليقين إلى عين اليقين؛ لأن المؤمن بطبيعته إذا عاين حدثًا إلهيًّا فإنه يزداد إجلالًا وإكبارًا لربه جل شأنه.

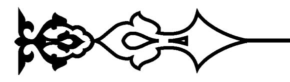
وقد تقدم أنه قد اختلفت الأخبار المنقولة عن علماء السلف في سبب سؤال الخليل عليه السلام ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، فجاء عن الحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم أنه سأل ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين؛ وقيل غير ذلك؛ وعلى كل حال فسؤال الخليل عليه السلام لم يكن عن شك أصلاً؛ بدليل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ أي: أنا مؤمن، ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ؛ إِذْ

---

(١) انظر: أعلام الحديث ٣/١٥٤٥.

(٢) انظر: الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص١٢٥ - ١٢٦.





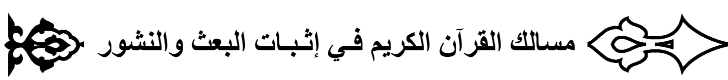
قَالَ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}[البقرة: ٢٦٠]"[١]؛ أي: أنَّ شك محمد وإبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- في إجابتهما إلى سؤالهما، ولم يشكا في أن الله تعالى قادر على إحياء الموتى؛ والمعنى: أنه إذا لم أشك أنا ولم أرْتَبْ في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يَشُكَّ فيه وأن لا يرتاب[٢].

قال الشيخ عبد الله سراج الدين : «يعني بذلك صلى الله عليه وسلَّم: أنَّا لم نشك أصلاً، فلم يشك إبراهيم الخليل أصلاً؛ فكأنه صلى الله عليه وسلَّم يقول: إن شك إبراهيم فنحن أحق بالشك، ولكنا لم نشك، فإبراهيم لم يشك»اهـ[٣].

إضافة إلى أنه عليه السلام أراد توضيح أمر المعاد لمن يرتاب فيه أو ينكره، فيكون هذا الحدث التطبيقي درسًا وعبرة لمن يداخله شيء من الشك في أمر البعث، وإلا فالأنبياء -عليهم السلام- على يقين كامل بربهم؛ وقد رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام هذا السر بين يديه، حيث رأى طيوراً فارقتها الحياة، وتفرقت أوصالها في أماكن متعددة، ثم دبت الحياة فيها مرة أخرى، بحيث تجمعت أوصالها الممزقة وريشها المتناثر، كما قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقد ذكر ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أخذ رؤوسهن بيده، ثم دعاهن كما أمره الله تعالى،

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١).
(٢) انظر: أعلام الحديث ١٥٤٦/٣.
(٣) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ص ١٢٦.



فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائفة، يتصل ويلتئم بعضها إلى بعض، تأبى التلاحم إلا مع عنصرها، حتى قام كل طائر على حِدَتِه، وأتينه يمشين سعيًا بحول الله وقوته[1].

- **قصة الملأ من بني إسرائيل :**

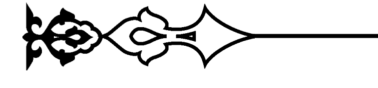
ذكر الله تعالى لنا قصة أناس فروا خوفًا من قدر الله تعالى المتحقق في الموت، سواء كان وباءً، أو جهادًا، فابتلاهم الله تعالى به، فلحقهم أمر الله تعالى إلى مضاجعهم، مبيّنًا لهم ولغيرهم أن الإحياء والإماتة خاضعان دون تكلف أو مشقة لأمره، فأخبر عن هؤلاء بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]؛ وقد روي أن هؤلاء مرَّ على موتهم دهر، فتمزقت لحومهم، وتفرقت شعورهم، وتفتت عظامهم؛ فمر نبي من الأنبياء، فسأل الله تعالى أن يحييهم، فأحياهم بعد رقدة طويلة، فقاموا أحياءً ينظرون، وهم يقولون: سبحانك لا إله إلا أنت[2].

ومثل هذه الحادثة: قصة قوم موسى السبعين الذين اختارهم الله تعالى، فأماتهم بسبب تجاوزهم حدود المطالب وتعنتهم وعصيانهم للرسل، كما أخبر عن ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ* ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦]، أماتهم حتى تمزقوا وتناثروا، ثم أحياهم بقدرته،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٦٩٠.

(٢) انظر: أحكام القرآن ٣/٢٣٠.



فقاموا وعاشوا رجلًا رجلًا ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون! فإن كان لا مقنع لمنكري البعث فيما ذكر، فليباشروا بأيديهم وينظروا بأعينهم إلى أسرار الخلق والإيجاد والبعث(1).

- **قصة القتيل الذي ضُرِبَ بعضوٍ من أعضاء البقرة(2):**

لقد عرض القرآن قضية الإحياء والمعاد في هذه الحادثة في أبسط صُوَرِه، وهي رؤيا العين، لينتفي الريب والشك تمامًا، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣]، ويلاحظ أنه لم يكن الغرض من هذه الحادثة إحياء هذا الميت ليكشف لهم عن قاتله فحسب، بل ليكشف الله تعالى للقوم بأنه جعل ذبح البقرة وسيلة ظاهرة تكشف لهم عن قدرته في إحياء الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، حتى يبلغوا مَن بَعدَهم قدرته تعالى على الإيجاد والمعاد.

وفي هذه الحادثة أمران عجيبان:

أولهما: أن الله تعالى أحيا هذا الميت بضرب جزء ميت، فقام بأمر الله جلت قدرته.

وثانيهما: أنه أوكل إلى القوم اتخاذ السبب في إحياء الميت، فبأيديهم باشروا إحياء الميت، ليجعل الله تعالى هذا الصنيع حجة لهم وحجة على غيرهم على وقوع المعاد.

وإن مما أرانا الله تعالى من آياته في عجائب خلقه في أمر المعاد

---

(1) انظر: أحكام القرآن ٤٠٣/١.

(2) انظر: المحرر الوجيز ١٤٥/١، وأحكام القرآن٤٥٥/١، ودرج الدرر ١٩٨/١.






والجزاء: ما أجرى الله تعالى على يد سيدنا عيسى ابن مريم -عليه السلام- من إحياء الموتى؛ ليبقى دليلًا على صدق البعث إلى الأبد، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ٤٩]؛ وكذلك ما أخبر به تعالى عن قصة أصحاب الكهف، إذ لبثوا وهم رقود في كهفهم مدة طويلة، ثم بعثهم، قال سبحانه: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١١-١٢].

قال الرازي: "اختلفت الأمة في ذلك الزمان: فقال بعضهم: الجسد والروح يبعثان جميعاً. وقال آخرون: الروح تُبعث، أما الجسد فتأكله الأرض، ثم إن الملك كان يتضرع إلى الله أن يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق في هذه المسألة، فأطلعه الله على أمر أصحاب أهل الكهف، فاستدل ذلك الملك بواقعتهم على صحة البعث للأجساد؛ لأن انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث"[١].

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٤٤٧/٢١.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



المبحث التاسع

الاستدلال على أن الله وعد بالبعث وأنه سيثيب الطائع ويعاقب العاصي

لقد اقتضت حكمة الله أن يخلق الإنسان متميزًا في خَلْقِه وخُلُقِه وتكوينه، لغاية أسمى ورسالة أرسى يقوم بها في الدنيا، ومن أجل ذلك تمت إرادة الله تعالى من خلق هذه الدنيا لتكون دار عمل واختبار للإنسان، ثم ليجزاه الجزاء الأوفى على ما قدم في دار الجزاء العادل.

وقد عُلِم بالضرورة أن الناس يعيشون في هذه الدنيا متفاوتين تفاوتًا كبيرًا في أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم سعادة وشقاء، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فمنهم الصحيح السليم، ومنهم السقيم المريض، ومنهم الغني المترف، ومنهم الفقير المعدم، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، وفيهم سُذّج منعمون وأخيار معذبون، وكلهم راحلون عن الدنيا، فلو أنهم يفنون بانقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافيًا للحكمة مجانبًا للعدل والرحمة، وكان خلقًا عبثًا، وهو محال على الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢]؛ فإذا تفكر الإنسان في نفسه يرى قواه صائرة إلى الزوال، وأجزاءه مائلة إلى الانحلال، فله فناء ضروري، فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه على هذا الوجه للفناء عبثًا؛ لأن مَن يفعل شيئًا للعبث فلو بالغ في

إحكامه وإتقانه يضحك منه، فإذا خلقه للبقاء ولا بقاء دون اللقاء، فالآخرة لا بد منها(١).



وإن أصحاب الفطر السليمة والعقول السديدة فضلًا عن المؤمنة الموقنة، ليوقنون بأنه إذا تحقق الامتحان الموعود، والابتلاء المطلوب، فلا بد من الجزاء على ذلك؛ ومِن أَجْلِ ذلك بعث الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق؛ ليبعث الخلائق بعد موتهم وفنائهم أحياء كما كانوا يوم بدأ الله خلقهم؛ لمجازاة المكلفين منهم بما قدموا من الأعمال، فلولا القيامة لما تميز المطيع من العاصي، والصديق من الزنديق، وحينئذ يكون خلقُ هذا العالَمِ عبثًا(٢).

وقد دلت على الجزاء آيات كثيرة منها(٣):

١-قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

٢-قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل:٣٨-٣٩]، ثم بين الله تعالى مقر هذا الجزاء على الأعمال ووقته فقال: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ومن هنا قضى الله تعالى بالبعث والجزاء وحكم بهما، فَهُمَا كائنان لا محالة، فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلَّم أن يقسم للمنكرين الأشقياء عليهما في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٨٢/٢٥، وتفسير البيضاوي ١٧١/٤.
(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٩٩/٢٣، واستخراج الجدال من القرآن ص ٩٦.
(٣)انظر: جامع البيان ٨٠/٢٤، وشرح معالم أصول الدين ص ٥٩٩، وأحكام القرآن ١٢/ ١٥٦.

وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن: ٧]. وتقرير الدليل: أن إعطاء القدرة والآلة والعقل –بدون التكليف والأمر بالطاعة والنهي عن المفاسد– يقتضي كونه تعالى راضيًا بقبائح الأفعال، وذلك لا يليق بحكمته، فإذًا لا بد من التكليف، والتكليف لا يحسن ولا يليق بالكريم الرحيم إلا إذا كان هناك دار الثواب والبعث والقيامة(١).

٣–قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، فقد قيل في معناها: إذا عرفتم أن خلق هذه الأشياء لا لأنفسها، ولكن لأنفسكم ولمنافعكم، فلا يحتمل أن يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء، فإن ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب والعقاب؛ فإن ثبت هذا ثبت البعث والحياة.

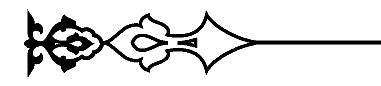
٤–قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧]، والاحتجاج بها على البعث يكون من وجوه ثلاثة(٢):

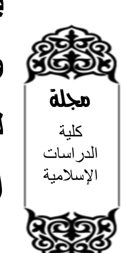
أ–أنه تعالى جمع في هذه الدنيا بين العدو والولي، وسوَّى بينهما في التوسيع والتضييق؛ إذ وسع على العدو والولي جميعًا، وضيق على الولي ووسع على العدو، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية، وقد سوى بينهما في هذه الدنيا وجمع؛ فلا بد من دار أخرى فيها يفرق بينهما؛ فيلزمهم البعث.

ب–أنه وسع الرزق على من هو في تقدير الناس وعقولهم لا يوجب التوسيع عليه، وهو السفيه الجاهل الذي في تقدير كل ذي عقل ولب أن

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٧٣٧/٣٠.
(٢) انظر: تأويلات أهل السنة ٢٧٨/٨.





يكون محرومًا مضيقًا، وضيَّق على من هو في تقدير كل أحد وعقله أن يكون موسعًا عليه مرزوقًا، وهو العاقل العارف بجميع أسباب السعة والغناء، وفي التقدير على خلاف هذا؛ فلا بد من مكان فيه يظهر التفضيل للعقول والمعارف والرغبة فيها والرغبة عن أضدادها، ومن هو أهل التوسيع، ومن هو أهل الحرمان؛ إذ قد اشتركوا في هذه.

ج-أن يعتبروا وينظروا بأن من قدر على توسيع الرزق وبسطه وتضييق الرزق وحرمانه -بالأسباب الخارجة عن تقديرهم وتدبيرهم وبغير أسباب- لقادر على إحياء الأشياء الخارجة عن تقدير قدرتهم وتدبيرهم.

ومن أمثلة هذا الاستدلال: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ* مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]؛ والمعنى: التنبيه على صحة البعث والمجازاة، فهو سبحانه لم يخلق الخلق عبثًا، بأن يحدثهم فيحييهم متى ما أراد، ثم يفنيهم من غير امتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلق ذلك ليبتلي من أراد امتحانه من خلقه بما شاء من امتحانه من الأمر والنهي؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله تعالى لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابًا لتكذيبهم بالمعاد[1].

(1) انظر: جامع البيان ٢٢/٤١.

المبحث العاشر

الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر



قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، فهذه الآية جاءت ردًّا على المشركين الذين قالوا –كما أخبر القرآن– : ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، فلم يثبت كيفية خلق العظام أو بعث الروح فيها؛ لأن الموت والحياة متجاوران في الوجود، وإنما لفت أنظارهم إلى أن اجتماع الضدين –مثل النار مع الماء– أمر بعيد التصور، ومع هذا فهم يشاهدونه بأعينهم في الشجر الأخضر الذي يجمع بين الماء والنار؛ فربط القرآن أمر البعث بإخراج النار من الشجر الأخضر الريان بالماء، الذي يستحيل فيه وجود النار، ليفحم المعاندين على خلق الأشياء من ضدها ومن غير مادتها، فقال تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون﴾ [يس:٨٠]، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢]، ووجه الاستدلال: أن النار صاعدة، والشجرة هابطة، وأيضًا النار لطيفة، والشجرة كثيفة، وأيضًا النار نورانية، والشجرة ظلمانية، والنار حارة يابسة، والشجرة باردة رطبة، فإذا أمسك الله تعالى في داخل تلك الشجرة الأجزاء النورانية النارية، فقد جمع بقدرته بين هذه الأشياء المتنافرة، فإذا لم يعجز عن ذلك، فكيف يعجز عن تركيب الحيوانات وتأليفها؟![(١)]

فمن بدائع خلق الله تعالى انقداح النار من الشجر المعروف بالمرخ، والشجر المعروف بالعفار، فإذا قطع منهما مثل سواكين، فإذا

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٣٥٥/٢، واستخراج الجدال من القرآن ص ٩٦.



احتكا انقدحت منهما نار بإذن الله تعالى وهما يقطران ماءً، ثم يصير هو وقود النار، وهي زنادة العرب، قيل: المرخ: هو الذكر، والعفار: هي الأنثى، ويسمى الأول: الزند، والثانية: الزندة، وفي الأمثال: المرخ والعفار لا يلدان غير النار، وقيل: في كل شجر نار، إلا العناب، فإنه ليس فيه نار. فإحياء العظام البالية ليس بأعجب من إخراج النار مما يضاده من الشجر الأخضر الذي يحمل الماء، ومن إخراج النبات من الأرض الهامدة، فمن قدر على جمع الضدين مع استحالة جمعهما، قادر على إعادة الحياة ثانية في اللحوم المتمزقة والعظام البالية، ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١][1].

([1]) انظر: جامع البيان ٣٢/٢٣، وأحكام القرآن ٥٩/١٥، واستخراج الجدال من القرآن ص٩٢.

المبحث الحادي عشر

الاستدلال بتعاقب الليل والنهار



يذكر الله تعالى في هذا الاستدلال أمرًا أحوج ما يكون البشر إليه في حياتهم، ويشاهدونه على الدوام، ويعتبرون به على دقة نظامه، تعالى في تصريفه وتسييره، لا سيما في أمر معاشهم وضروريات حياتهم، ليكون ذلك شاهدًا يحملهم على الإيمان بالبعث، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٩-٨٣]، فبدأ سبحانه ببيان ربوبيته -التي من أجلها عُبِد وحُمِد-، وما لأجله يرجع العباد إليه، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

ثم ساق الأدلة على ذلك كله بقدرته المحضة على تعاقب الحدثين وما وراءهما من الأسرار، وقدم تذكيرهم بالبعث؛ ليلفت أنظار العباد أولاً إلى الاعتبار من استدامة الليل؛ لأن النوم شبيه الموت، ثم لفت أنظار العباد إلى الاعتبار باستدامة النهار الذي هو شبيه الحياة، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٠-٧٢]، ثم وبخ العباد على ترك التأمل والاعتبار





بمخلوقاته، فقال: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؛ فنبّه المولى عزَّ وجل على أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان؛ لأن المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار، ولأجله يحصل الاجتماع، فيمكن المعاملات، ومعلوم أن ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل، فلا بد منهما والحالة هذه، فأما في الجنة فلا نصب ولا تعب، فلا حاجة بهم إلى الليل، فلذلك يدوم لهم الضياء واللذات، فبيَّن تعالى أنه لا قادر على ذلك إلا الله تعالى، وإنما قال: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؛ لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر، فلما لم ينتفعوا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر[(١)].

وهذا ما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٢-٤]، بل الذين كفروا في إصرار على العناد والمكابرة والتمادي في الباطل ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩] (٢).

---
(١) انظر: تفسير الرازي ١٢/٢٥.
(٢) انظر: تفسير الرازي ١٢/٢٥.

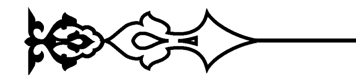




وقال جل شأنه في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ ففي قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ دلالة على البعث والحياة بعد الموت؛ لأن الليل يأتي على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من أثر النهار شيء، وكذلك النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من أثر الليل شيء، ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد في النشوء من غير نقصان ولا تفاوت، فدل أنه تعالى قادر على إنشاء ما أماته وأتلفه، وإن لم يبق له أثر على ما قدر من إيجاد ما أتلف، وإنشاء ما أذهب من الليل بالنهار، ومن النهار بالليل، وإن لم يبق له أثر[1].

---

(1) انظر: المحرر الوجيز ٣/٥٠٧.

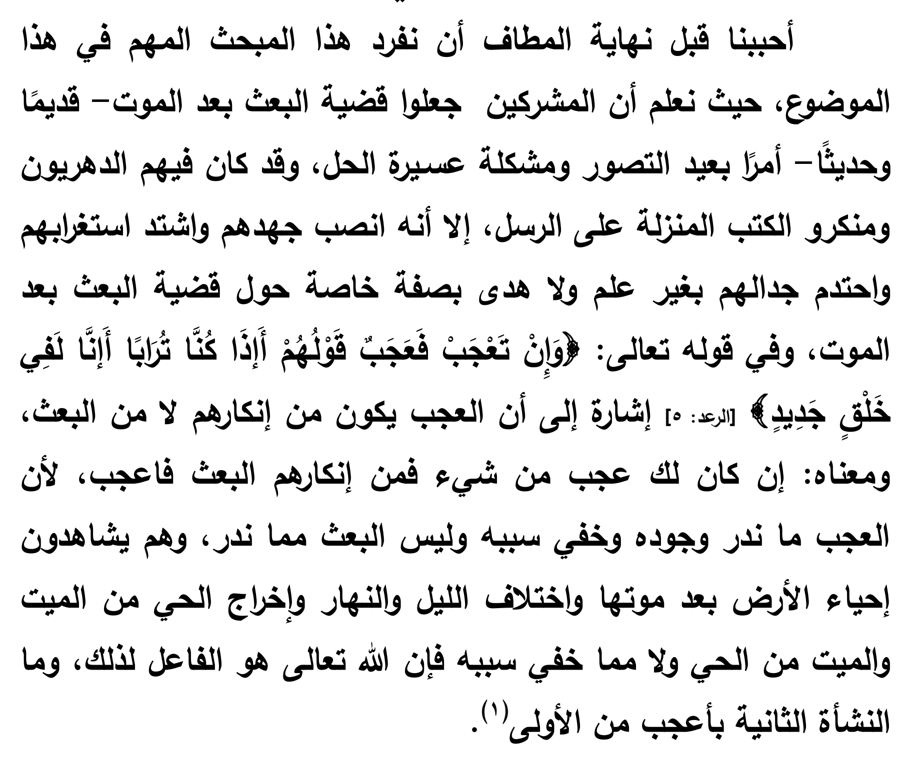





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الثاني عشر

أهمية إعمال العقل في إقرار البعث



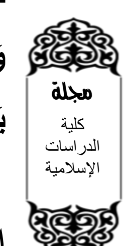
أحببنا قبل نهاية المطاف أن نفرد هذا المبحث المهم في هذا الموضوع، حيث نعلم أن المشركين جعلوا قضية البعث بعد الموت- قديمًا وحديثًا- أمرًا بعيد التصور ومشكلة عسيرة الحل، وقد كان فيهم الدهريون ومنكرو الكتب المنزلة على الرسل، إلا أنه انصب جهدهم واشتد استغرابهم واحتدم جدالهم بغير علم ولا هدى بصفة خاصة حول قضية البعث بعد الموت، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] إشارة إلى أن العجب يكون من إنكارهم لا من البعث، ومعناه: إن كان لك عجب من شيء فمن إنكارهم البعث فاعجب، لأن العجب ما ندر وجوده وخفي سببه وليس البعث مما ندر، وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها واختلاف الليل والنهار وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ولا مما خفي سببه فإن الله تعالى هو الفاعل لذلك، وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى(١).

فدعاهم القرآن إلى إعمال الفكر والنظر في ملكوت الرب جل وعلا، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠٠، ١٠١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، ثم قال عقب ذلك

---

(١) انظر: معالم التنزيل ٢٩٥/٤، واستخراج الجدال من القرآن ص ٩٧، وتفسير ابن عرفة ٤١٦/٢.





مباشرة: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

وقال عن سيدنا نوح عليه السلام -وهو يدعو قومه إلى إعمال الفكر في أمر البعث من خلال التفكر في آلاء الله تعالى-: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا* مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا* أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا* وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١١-١٨].

ولكن الشيطان كبير الحرص على إتلاف عقل الإنسان الذي تميّز به عن سائر الخلق لِيُردوهم وليَلبِسوا عليهم دينهم، فقصروا عن إدراك حقائق هذا الكون العظيم، وإن كثيرًا لَيُضِلون بأهوائهم بغير علم، فهم الذين مهدوا للناس بآرائهم الفاسدة طريق الضلال والإلحاد، ليعدموا بذلك لدى الإنسان مبدأ شعوره بالإيمان بالله تعالى وبمبدأ التكليف والمبادئ لتكون طريقًا إلى انعدام الشعور بمبدأ البعث والجزاء والحساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

ولقد حذر القرآن أشد تحذير من أمثال هؤلاء، وبين أنهم لا يحملون عقلًا ولا بصيرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: إسرافًا وتضييعًا، وبيّن أنهم





تكبروا عن فهم آيات الله تعالى ورغبوا عنها إلى الغواية فصرفهم الله عن الحق، فقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦-١٤٧]، وبيّن جل وعلا في موضع آخر أن سبب جدال هؤلاء في أمر البعث بعد الموت ناشئ عن تعطيل العقل فقال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى:﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

ومن جانب آخر استخلف الله تعالى الإنسان في الأرض على مقتضى إرادته ومشيئته، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وهذا الاستخلاف مقتضاه القيام بالتكاليف، ومعلوم عقلًا أن الاستخلاف يعقبه المحاسبة ثم الجزاء بإحدى المقرين، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وفي ذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ

مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ"[1].

كل هذا دال على محاسبة الإنسان على ما استخلف عليه وما يقدمه من خير أو شر، وإلا لكان الخلق عبثًا وهو على الله محال، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]. وإن من مقتضى هذا الاستخلاف الابتلاء بأنواع من الغرائز والمتناقضات التي أودعها الله تعالى في البشر كرغبة في الخلود بما فيه من معكرات وصراع، والتملك والاعتلاء الاعتداءات، وبالأمر والنهي والخير والشر والشهوات والرغبات والحق والباطل، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، مع ما منح من ملكات عقلية فائقة، وطاقات نفسية هائلة ليواجه تلك المتناقضات ويميز بين طريق الخير من طريق الشر ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، فقد يسمو هذا الإنسان في ظل التوفيق الإلهي إلى معالي الملكوت لتصفو له الحياة، لكن الابتلاء والموت الذي ينتظره يعكر عليه ذلك، وقد يسقط لانحرافه عن الجادة إلى أسفل السافلين فيفقد الراحة والطمأنينة.وفي كل الأحوال فهو يتطلع إلى حياة ينشد في ظلها البقاء والاستقرار والراحة والطمأنينة، ويجد فيها العدالة والإنصاف اللذين فقدهما في الحياة الدنيوية، وهذه الحياة هي التي وعد الله تعالى بها في كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

غير أن المصير في هذه الحياة مرهون بما يقدّمه الإنسان لنفسه، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٦-٤١]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل: ٥-١٠] (١).

(١)انظر: التبصير في الدين ص ١٦٨.



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



الخاتمة

وبعد، فهذه هي أصول الدلائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه على صحة عقيدة البعث بعد الموت، وإعادة الأجساد إلى وضعها قبل الموت، وهي أدلة واضحة جلية، خاطب بها سبحانه أصناف الخلق من المنكرين وغير المنكرين، فالمنكرون ليؤمنوا، وغير المنكرين ليزدادوا إيماناً. ومن لم يؤمن بكل تلك الأدلة ولم يقنعه أي منها، فلا شك في عناده وجحوده وهذا عاقبته النار وبئس المصير، وقد نص سبحانه على كفر منكر البعث بعد الموت؛ لأنه مكذب بخبر الله تعالى، ومنكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة، قال جل وعلا: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٥- ٣٧].

وإن مصاحبة هذا البحث أسفرت عن النتائج التالية:

١- لفت الانتباه إلى وضوح وبساطة مسالك القرآن في إثبات البعث والحشر والنشر، بعيدًا عن مصطلحات علم الكلام التي لا يتقنها عوام الناس.

٢- ترقى القرآن في مخاطبة أصناف البشر، فمنهم من قرب له صورة البعث بما يعرف من أحوال نفسه وأحوال العالم، كإنزال المطر وإحياء الأرض وإنبات النبات، ومنهم من خاطبه بضرورات العدل في وجوب إثابة المحسنين ومعاقبة المحسنين، ومن لم يقتنع لا بالدليل العقلي الحسي ولا بالدليل العقلي المنطقي، خاطبه بالقصة والحكاية التي تسرد وقائع ثبتت صحتها بالدليل المتواتر عن أناس قاموا من بعد موتهم وأخبروا بما طلب




منهم .

٣- عمد القرآن في تربيته للنفوس إلى التذكير باليوم الآخر؛ ترغيبًا في مختلف مجالات الخير وزجرًا عن الشر، ومن ثَم كانت الحاجة ماسة إلى الإيمان باليوم الآخر، وصولًا إلى عالم أفضل وحياة أكرم وإنسانية أكمل.



٤- تناول القرآن قضية البعث بعد الموت في آيات مكية وآيات مدنية، إلا أن الآيات المكية تشكل المحاور الأساسية للقضية تبعًا لحال المرحلة وخطورتها، وتمتاز بزيادة في التأكيد والتحذير والتنبيه من الآيات المدنية، ذلك لأن إنكار المشركين كان منصبًّا بصورة شديدة على إنكار البعث والجزاء أكثر من غيره من أركان الإيمان.

٥- إن منهج الآيات بمجموعها حسب تناولها للموضوع تكلمت عن وجوب وقوع البعث بعد الموت، وذلك بذكر الأدلة النقلية على ذلك، وإعمال العقل والفكر في فهم القضية بنفس سليمة صادقة، وتحكيم المنطق السديد للبحث عن الحق والصواب.

٦- كثر في النصوص القرآنية إثبات البعث، والرد على من أنكره بطرق ومسالك متعددة؛ من أهمها:

- الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى.
- الإخبار بالبعث بعد تفرق الأجسام والأجزاء في الأماكن.
- عموم قدرة الله تعالى على جميع الممكنات.
- القادر على الأعظم يكون على الأيسر أقدر بالضرورة.
- الإيقاظ من النوم الطويل دليل على البعث.
- قياس إخراج الموتى من الأرض على إخراج الحي من الميت.
- قياس البعث على إحياء الأرض بالمطر بعد موتها.





- الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء بعد الموت.
- الاستدلال على أن الله تعالى وعد بالبعث وأنه سيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

- الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر.
- الاستدلال بتعاقب الليل والنهار.
- أهمية إعمال العقل في إقرار البعث.

وفي الختام: نرجو أن نكون قد وفقنا فيما أردنا من دراسة وبحث، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

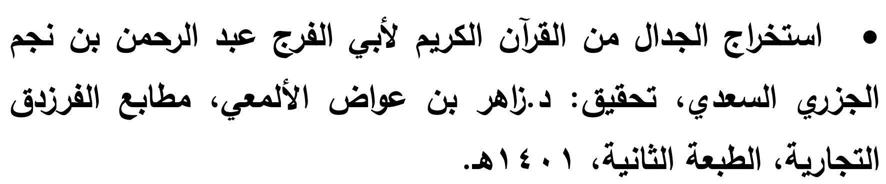



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع



- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.



- استخراج الجدال من القرآن الكريم لأبي الفرج عبد الرحمن بن نجم الجزري السعدي، تحقيق: د.زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية لنجم الدين الطوفي، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- أعلام الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي،تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي،دار الفكر، بيروت.

- **الإيمان بعوالم الآخرة للشيخ عبد الله سراج الدين، طباعة مطبعة الأصيل، حلب، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.**
- **تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.**
- **البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.**
- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لطاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.**
- **التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.**
- **تفسير ابن فورك الأصبهاني، تحقيق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.**
- **تفسير ابن عرفة (محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.**
- **التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.**
- **تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة،الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.**

- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق:هشام سمير البخاري، الناشر: عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي،تحقيق: د.أحمد محمد الخراط،دار القلم، دمشق.
- درج الدرر في تفسير الآي والسور لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد الحسين، وإياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- الرسالة التسعينية في الأصول الدينية لصفي الدين الأرموي الهندي، تحقيق: عبد النصير أحمد المليباري، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- شرح معالم أصول الدين لشرف الدين ابن التلمساني، تحقيق: نزار حمادي، دار الفتح، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة السابعة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

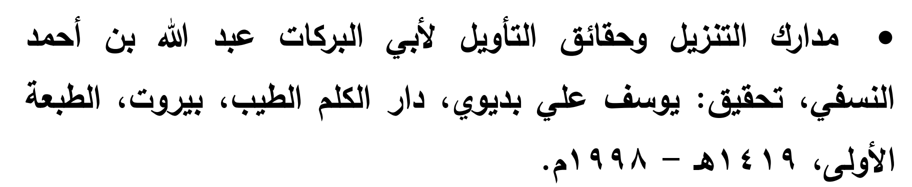




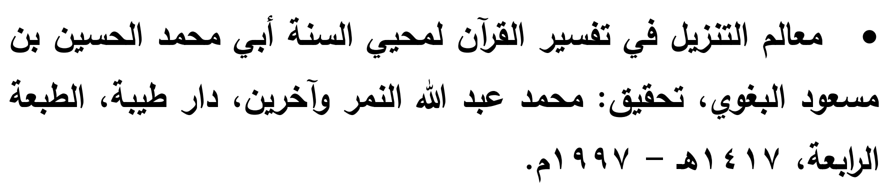
- عناية القاضى وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر، بيروت.
- غاية المرام في علم الكلام لأبي الحسن سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، المحقق: د. حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- الغنية في أصول الدين لأبي سعيد المتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٧م.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- قواعد العقائد لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي،تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- المتوسط في الاعتقاد لأبي بكر ابن العربي المعافري، تحقيق: د. عبدالله التوراتي، دار الحديث الكتانية، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية،



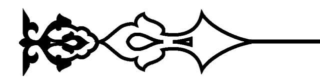
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.



- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



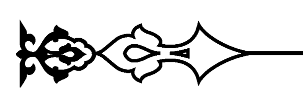
- معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد علي، مركز البحوث والدراسات للتراث، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- هداية المريد لجوهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم اللقاني، تحقيق: مروان حسين البجاوي، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



فهرس البحث






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية